نور المسيح
ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

مجلة شهرية

Issue No: 65 عدد:
January 2013 كانون الثاني

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

ميلاد ربّنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح بالجسد

«أما أنت يا بيتَ أفراتةَ
وأنت صغيرةٌ أنْ تكوني بين ألوف يهوذا
فمَنك يخرج لي الذي يكونُ متسلطاً
على إسرائيل ومخارجه منذُ القديم منذ أيام الأزل»
(ميخا – الأصحاح الخامس ، الآية الثانية)

كنيسة المهد للروم الأرثوذكس في بيت لحم

تتقدم جمعية نور المسيح
بأحرّ التهاني والتبريكات
إلى

غبطة البطريرك

كيريوس كيريوس

تيوفيلوس

الثالث

بمناسبة حلول عيد ميلاد
ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح بالجسد.
طالبين من الطفل المولود في مغارة بيت لحم
أن يوطّد رئاستكم على سدّة البطريركية
ويغمركم بنعمته الإلهية
لإرشادكم في الإرتقاء في معارج الفضيلة
ويسربلكم بنوره غير المخلوق
لنشر تعاليم الكنيسة المحيية والخلاصية

لسنين عيدة ومديدة يا سيد

وكل عام وانتم بخير

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث

بمناسبة ميلاد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح بالجسد

«أيتها المغارة تهيّئي . فإن النعجة تأتي حاملةً في حشاها المسيح جنيناً. ويا أيها المذود استقبل الذي بكلمته حَـلَّـنـا نحن الأرضيين من غوائل الفعلة البهيميّة. ويا أيها الرُّعاة اسهروا واشهدوا العجب الرهيب. ويا ايها المجوس الذين من فارس قدّموا للملك الذهب واللبان والمرَّ. لأن الربَّ قد بزَغَ مولوداً من امٍّ عذراءَ. فخرَّت أمّه ساجدَةً له سجود أَمَة. وخاطبتهُ وهو في أحضانها قائلة: كيف زُرعتَ وكيف نبتَّ فيَّ يا إلهي وفاديَّ» (طروبارية لتقدمة العيد).

أيها الأخوة الأحباء بالمسيح
أيها المسيحيّون الحسني العبادة

قد اقترب سرّ خلاصنا، السرّ الألهي الذي كان منذ الدهور ، أي تجسّد كلمة اللّه ، لأنّه وكما يقول المرنّم ، نحن مدعوين ومعنا كل الخليقة لاستقبال ميلاد ابن اللّه ، وابن مريم ، ربنا وإلهنا يسوع المسيح بالجسد.

عيد الميلاد يتمتّع بصفة خاصّة تميّزه عن باقي الأعياد السيّديّة الكبرى ، هذا لأنه بحسب **القديس أثناسيوس الكبير: « ابن اللّه صار إنساناً لكي يصير بنو البشر أبناء للّه بالنعمة»(ضد الأريوسيين ١:٣٩)**. هذا يعني أن سرّ تجسّد وتأنّس كلمة اللّه يعني المسيح ، هذا السرّ تحقّق وتمّ فعلاً بالزمان والمكان ، حيث أشرقَ منه ، نور المعرفة ، وشمس العدل ، لجميع أرجاء العالم.

لا أحد يستطيع أن يرفض أو يدحض أنّ «كلمة اللّه صار جسداً» (يو١:١٤) ، فإنّه هو النور الآتي للعالم ، كما يشهد المسيح عن نفسه قائلاً: «أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلام ، بل يكون له نور الحياة». (يو٨:١٢).

هذا بالتدقيق نور المسيح المُعلَن في كنيستنا كنيسة اللّه المقدسة، والذي يُكرَز به في كل زمان وفي كل مكان بوضوح ونقاوة خالياً من أي شائبة ، وخاصّة في الأعياد السيّديّة الكبرى وكذلك عند تذكار آبائنا القديسين الأطهار ، وشهداء كنيستنا الأبرار.

ابن اللّه هو «**الكلمة الحيّة**» أيها الأحباء ، كلمة اللّه المسيح الذي ولد في بيت لحم ، والذي أتى إلى العالم نورٌ وحياة للبشريّة جمعاء ، وخاصّة للأعضاء المؤمنين في الكنيسة المقدسة ، أي الأعضاء في جسد المسيح ، هذا كلّه لنتحرّر من سلطان ظلمة هذا العالم ، **فسلطان عالم الظلمة هذا هو الشيطان وشركائه ومعاونيه** الذين يتعاطون **ألوان السحر والشعوذة والحجاب ، ومناجاة الأرواح ، وكشف البخت باليد والرمل ، وكشف المستقبل بالأوراق ، وفتح الفنجان ، والتعلّق بالأبراج وما الى ذلك** ....

كنيستنا المقدّسة ، ومن خلال صيام الميلاد المقدس والصلوات المرافقة له ، تهيئنا لنستعدّ لميلاد المسيح في مغارة قلوبنا اللحميّة ، حيث أنّ المسيح يولدَ الآن ، فهلمّوا لنرى كنيستنا بفم المرنّم نسمعه بخشوع : «إنّ المسيح قد ولدَ فمجّدوا . المسيح قد أتى من السماء فاستقبلوا ، المسيح على الأرض فارتفعوا ، ورنّموا للربّ يا جميع اهل الأرض ، وسبّحوه بسرورٍ يا شعوب. فإنّه قد تمجّد».

أيها الأخوة الأحباء

فعلاً قد تمجّد المسيح ، لأنه شافي ومدبّر حياتنا ومخلّصها ورافعها ثانية للسماء ، وهذا يتمّ باحتفالنا واشتراكنا الروحي والإيمانيّ الصادق لحدث سرّ التجسّد والتأنّس من خلال تقديم قلبنا النقيّ والمتواضع ، وكذلك بممارستنا لمراسيم الصلوات المقدسة ، وخاصّة الليتورجيا الألهيّه أي سرّ الشكر الألهي.

وما هي الهدايا التي ينتظر المسيح أن نقدّمها له ؟

الهدايا هي: الصدقة ، زيارة المسجونين ، وعيادة المرضى، والتسامح ، وتاج الكل المحبّة الباذلة ، لكل إنسان أكان قريباً أم عدواً ، كما يقول السيّد المسيح : «لم آت لأدعُوَ أبراراً ، بل خطاة للتوبة» (لوقا ٥:٣٢). وهكذا فلنتمثّل بالمجوس وهداياهم ، ولنقلع عن العوائد المسلّطة على هذا العالم ، ولنقطع شوطاً بعيداً لنشاهد المسيح ، ونتمتّع بالنعم التي يغدقها على الذين يسجدون له بتواضع وإيمان ومحبّة ، فالقلب المتواضع لا يرذله اللّه ، ولنجعل محبّتنا متّقدة بسكنى المسيح فيها ، لينمّي بذرة الأيمان في نفوسنا ، لنستطيع أن نولد من جديد معه وننزع عنا الانسان العتيق الفاسد ، ونلبس الانسان الجديد ، انسان الرحمة والمحبة والسلام والمسامحة والغفران والعفو والمصالحة.

وكل عام وأنتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

ميلاد ربنا ومخلصنا يسوع المسيح بالجسد

للقديس غريغوريوس اللاهوتي

أنشودة الميلاد:

١) إنّ المسيح قد وُلِدَ فمجّدوا ، المسيح قد أتى من السماء فاستقبلوا، المسيح على الأرض فارتفعوا. ورنّموا للربّ يا جميع أهل الأرض. لتفرح السموات وتبتهج الأرض، بالسماوي الذي صار على الأرض.المسيح تجسد ،ابتهجوا بفرح وخوف.الخوف بسبب الخطية، والفرح بسبب الرجاء. جاء المسيح من عذراء، فعشن عذارى يا نساء، لتصرن أمهات للمسيح.مَنْ الذي لا يسجد للذي كان منذ البدء؟ مَنْ الذي لا يمجد ذاك الذي هو الآخر ؟

٢) مرة أخرى ينقشع الظلام [١] ، مرة أخرى يُشرق النور. مرة أخرى يحل الظلمة كعقاب على مصر [٢]، مرة أخرى يستنير شعب اللّه بعمود من نار (خر١٣:٢١)، الشعب الجالس في الظلمة أبصر نور معرفة الأسرار الإلهية، «الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً» (٢كو٥:١٧) الحرف يتراجع والروح يتقدم، **الظلال** تهرب بينما **الحق**[٣] يحلّ مكانها. مثال ملكي صادق قد تحقق (مز١١٠:٤) ،الذي كان بلا أم صار الآن بلا أب. النواميس الطبيعية انحلت. العالم السماوي ينبغي أن يكتمل[٤]. المسيح يأمر أن لا نضع أنفسنا ضدّه « هيا صفقوا بأيديكم يا كل الأمم» (مز٤٦:١)، «لأنه وُلد لنا ولد وأعطي لنا ابنًا، تكون الرئاسة على كتفه(لأن كتفه رُفع بالصليب)يُدعى اسمه ملاك المشورة العظيم» (إش٩:٥). دعوا يوحنا يصرخ «أعدوا طريق الرب» (مت٣:٣)،وأنا سوف أتحدث عن قوة هذا اليوم: الذي بلا جسد تجسد ،الكلمة صار له جسم, غير المنظور صار منظورًا ،غير الملموس صار ملموسًا، غير الزمني ، صارت له بداية زمنية ،ابن اللّه يصير ابن الإنسان،«يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد»اليهود يعثرون، واليونانيون يسخرون، والهراطقة يثرثرون. سوف يؤمنون به عندما يرونه صاعدًا إلى السماء، وإن لم يؤمنوا وقتذاك، فسوف يرونه آتيًا من السموات وجالسًا كديان. هذه الأمور سوف تحدث فيما بعد .

إسمان للاحتفال: ثيئوفانيا والميلاد:

٣) أما اليوم، فالإحتفال هو بالظهور الإلهي أي الميلاد. هذا الإحتفال الواحد يطلق عليه إسمان لأن اللّه ظهر للبشر بواسطة الميلاد. الكلمة هو كائن أبدي من الكائن الأبدي فوق كل علة وكلمة (لأنه لا توجد كلمة قبل اللوغوس) صار جسدًا لأجلنا لكي ـ كما منحنا الوجود ـ يعطينا أيضًا الوجود الأفضل الذي سقطنا منه بسبب شرورنا أو بالحري لكي يعيدنا إليه بتجسده. هكذا أطلق اسم «ثيئوفانيا» إشارة إلى هذا الظهور، وكذلك أيضًا أُطلق اسم الميلاد إشارة إلى مولده.

لماذا نحتفل بهذا العيد؟:

٤) بالنسبة لنا هذا هو مفهوم الاحتفال، وهذا هو ما نحتفل به اليوم: نُعيِّد لسكنى اللّه بين البشر الذى يرفعنا لنسكن بجوار اللّه، أو بالحري لنرجع إليه، لكي بخلعنا الإنسان العتيق، نلبس الإنسان الجديد. وكما متنا في آدم، هكذا يمكننا أن نحيا في المسيح، إذ نولد معه، ونُصلب معه ونُدفن معه لكي نقوم بقيامته. لأنه ينبغي أن نتغير التغيير الحسن الصالح. فكما أن الأمور الحسنة (الحالة الفردوسيّة الأولى) تبعتها الأمور التعسة (**حالة السقوط**)، هكذا ينبغى بالأحرى أن تأتى الأمور الحسنة من الأمور التعيسة. « لأنه حيثما تكثر الخطية تزداد النعمة جداً» (رو٥:٢٠).

وإذا كان تذوق الأكل[٥] قد جلب الإدانة فكم بالأكثر تُبَرِّرُنا آلام المسيح. إذن فلنُعيِّد، ليس بطريقة الإحتفالات الوثنية الصاخبة، لكن بطريقة إلهية، ليس بطريقة العالم لكن بطريقة روحية. لا باعتباره عيدنا نحن بل باعتباره عيد ذاك الذي هو لنا (أي المسيح) أو بالأحرى عيد ربنا. نعيّد ليس بما للمرض بل بما للشفاء. نُعيد ليس بما يخص الخلق، بل بما يخص إعادة الخلق.

كيف نحتفل بالعيد؟:

٥)وكيف يصير هذا التعييد؟ لا بأن نزين الأبواب، ولا نقيم حفلات رقص، ولا نزين الشوارع ولا نبهج عيوننا، ولا نُطرب أسماعنا بموسيقى صاخبة، ولا نلذذ أنوفنا بروائح أنثوية غير لائقة، دعونا لا نفسد حاسة التذوق، ولا نسمح لحاسة اللمس أن تتلذذ بلمس أشياء غير لائقة. هذه الحواس التي يمكن أن تكون مداخل سهلة للخطية؛ لنكن غير متخنثين بلبس الملابس الناعمة والكثيرة الثمن، والتي لا نفع لها. ولا نتزين بأحجار ثمينة وبذهب لامع، وبأصباغ تشوه الجمال الطبيعى الذي خُلِقَ على صورة اللّه، ولا للهزء والسكر الذي يصاحبه دائمًا الفسق والدعارة (انظر رو١٣:١٣)، لأن التعاليم الشريرة تأتى من المعلّمين الأشرار، أو بكلام أفضل، لأن البذرة الشريرة تُنْبت نباتًا شريرًا، فلا نفترش الفرش الناعم الذي يُرضي **لذّات البطن والشهوات العابرة**. ولا نُقبل على شرب الخمور المزوجة برائحة الزهور، ولا على الطعام الشهي الذي يتفنن الطهاه في طهيه. ولا نُدهن بطيب غالي الثمن. لا ندع الأرض والبحر يقدمان نفاياتهما الثمينة كهدية ـ لأني أُسَمّي الرفاهية نفاية ـ دعونا لا ننافس أحدنا الآخر في إرتكاب المعاصي، فكل شيء زائد عن الحاجة الضرورية هو إفراط. بينما يوجد آخرون ـ من نفس طينتنا وطبيعتنا ـ **يتضورون جوعًا، وهم في غاية العوز.**

٦) فلنترك كل هذه الأمور للوثنيين ولإحتفالات الوثنيين، الذين تُسَرّ آلهتهم برائحة شواء الذبائح، ويقدمون لها العبادة بالطعام والشراب، فهم مخترعون للشر، وكهنة وخدام للشياطين. أما نحن الذين نقدم عبادتنا «للكلمة»، إن كان يجب أن نستمتع بشيء، فلنستمتع بالكلمة، بالناموس الإلهي وبالشواهد الكتابية خاصةً تلك التي تحدثنا عن موضوعات مثل موضوع إحتفال اليوم، حتى تكون متعتنا قريبة من ذاك الذي جمعنا معًا للإحتفال به (أي المسيح) وليست بعيدة عنه. هل تريدون (لأني أنا اليوم سوف أقدم لكم المائدة يا ضيوفي) أن أضع أمامكم رواية هذه الأحداث (الميلادية) بأكثر غزارة وأجمل كلام أستطيعه لكي تعرفوا كيف يستطيع شخص غريب[٦] أن يُغذي مواطني البلد، وساكن الريف أن يغذي سكان المدينة، والذي لا يهتم بالمتع أن يُغذي أولئك الذين يسرون بالمتعة، ومَن هو فقير وليس له بيت ولا يملك أي شيء أن يغذي أولئك المشهورون بسبب غناهم.

إفتتاحية تعليمية عن اللّه (الثيولوجيا):

سوف أبدأ بالآتي: نقّوا عقولكم وآذانكم وأفكاركم أنتم الذين تبتهجون بهذه الأشياء ، لأن حديثنا سيكون حديثًا مقدسًا عن اللّه ؛ حتى حينما تغادرون المكان تكونون قد استمتعتم حقًا بسماع تلك الأمور المبهجة التي لن تنتهي ولا تخبو.

سوف يكون الحديث مليء تمامًا وفي نفس الوقت سيكون موجزًا، حتى لا تتضايقوا بسبب غياب بعض الحقائق، كما أنه لن يكون مملاً بسبب الإطالة الزائدة.

٧) اللّه كان كائنًا دائمًا وهو كائن في الحاضر وسيكون دائمًا إلى الأبد، أو بالحري، هو كائن دائمًا. لأن «كان» و «سيكون» هي أجزاء من الزمن ومن طبيعتنا المتغيرة. أما هو فهو «**كائن**» أبدي، وهذا هو الاسم الذي أعطاه لنفسه عندما ظهر لموسى«أنا هو الكائن» (خر٣:١٤). لأنه يجمع ويحوي كل «الوجود»، وهو بلا بداية في الماضي، وبلا نهاية في المستقبل؛ مثل بحر عظيم لا حدود لوجوده، لا يُحد ولا يُحوى، وهو يتعالى كلية فوق أي مفهوم للزمان وللطبيعة، وبالكاد يمكن أن يُدرك فقط بالعقل ولكنه إدراك غامض جدًا وضعيف جدًا، ليس إدراك لجوهره، بل إدراك بما هو حوله[٧]، أي إدراكه من تجميع بعض ظواهر خارجية متنوعة، لتقديم صورة للحقيقة سرعان ما تفلت منا قبل أن نتمكن من الإمساك بها، إذ تختفي قبل أن نُدركها. هذه الصورة تبرق في عقولنا فقط عندما يكون العقل نقيًا كمثل البرق الذي يبرق بسرعة ويختفي. أعتقد أن هذا الإدراك يصير هكذا، لكي ننجذب إلى ما يمكن أن ندركه، (لأن غير المدرك تمامًا، يُحبط أي محاولة للإقتراب منه). ومن جهة أخرى فإن غير المدرك يثير إعجابنا ودهشتنا، وهذه الدهشة تخلق فينا شوقًا أكثر، وهذا الشوق ينقينا ويطهرنا، والتنقية تجعلنا مثل اللّه. وعندما نصير مثله، فإني أتجاسر أن أقول إنه يتحدث إلينا كأقرباء له باتحاده بنا، وذلك بقدر ما يعرف هو الذين هم معروفين عنده. إن الطبيعة الإلهية لا حدّ لها ويصعب إدراكها. وكل ما يمكن أن نفهمه عنها هو عدم محدوديتها، وحتى لو ظنّ الواحد منا أن اللّه بسبب كونه من طبيعة بسيطة لذلك فهو إما غير ممكن فهمه بالمرة أو أنه يمكن أن يُفهم فهمًا كاملاً. ودعنا نسأل أيضًا، ما هو المقصود بعبارة «من طبيعة بسيطة»؟ لأنه أمر أكيد أن هذه البساطة لا تمثل طبيعته نفسها، مثلما أن التركيب ليس هو بذاته جوهر الموجودات المركبة.

٨) يمكن التفكير في اللانهائية من ناحيتين، أي من البداية ومن النهاية (لأن كل ما يتخطى البداية والنهاية ولا يُحصر داخلها فهو لانهائي). فعندما ينظر العقل إلى العمق العلوي، وإذ لا يكون لديه مكان يقف عليه، بل يتكئ على المظاهر الخارجية لكي يكوّن فكرة عن اللّه، فإنه يدعو اللانهائي الذي لا يُدنى منه باسم غير الزمني. وعندما ينظر العقل إلى الأعماق السفلى وإلى أعماق المستقبل فإنه يدعو اللانهائي باسم غير المائت وغير الفاني. وعندما يجمع خلاصته من الإتجاهات معًا فإنه يدعو اللانهائي باسم الأبدي لأن الأبدية ليست هي الزمان ولا هي جزء من الزمان لأنها غير قابلة للقياس. فكما أن الزمان بالنسبة لنا هو ما يُقاس بشروق الشمس وغروبها هكذا تكون الأبدية بالنسبة للدائم إلى الأبد.

نكتفي الآن بهذا الحديث الفلسفي عن اللّه، لأن الوقت الحاضر غير مناسب، إذ أن موضوع حديثنا الآن هو عن تدبير التجسد وليس عن طبيعة اللّه (ثيؤلوجيا). ولكن عندما أقول اللّه فأنا أعني الآب والابن والروح القدس. لأن الألوهية لا تمتد إلى ما يزيد عن الثالوث وإلاّ كان هناك حشد من الآلهة، كما أنها لا تحد بنطاق أصغر من الثالوث حتى لا نتهم بأن مفهومنا عن الألوهية فقير جدًا وهزيل، وحتى لا ينسب إلينا أننا نتهوّد بالحفاظ على الوحدانية، أو أننا نسقط في الوثنية بتعدد الآلهة. إذ أن نفس الشر موجود في الاثنين اليهودية أو الوثنية، حتى إن كان موجودًا في إتجاهين متعارضين. هذا إذًا هو «قدس الأقداس»[٨] المخفي عن السيرافيم وهو الذي يُسبّح بنشيد الثلاثة تقديسات، والثلاثة يُنسب إليها لقب واحد هو الرب والإله، كما تحدث عن ذلك أحد سابقينا[٩] بطريقة جميلة وسامية جدًا.

خلق العالم العقلي:

٩) ولكن حيث إن حركة التأمل الذاتي لا تستطيع وحدها أن تشبع «الصلاح»[١٠]، بل كان يجب أن يُسكب الصلاح وينتشر خارج ذاته، لكي يكثر الذين ينالون من إحسانه (لأن هذا كان أساسيًا للصلاح الأسمى)، لذلك فإن اللّه فكر أولاً في خلقة الملائكة والقوات السمائية. وفكره هذا صار عملاً تحقق بواسطة كلمته واكتمل بواسطة روحه. وكذلك أيضًا خُلقت المخلوقات النورانية الثانية، كخُدام للنور الأول، الذين ندركهم كأرواح عقلية أو كنار غير مادية وغير فانية، أو كطبيعة أخرى تقترب بقدر الإمكان من كل الوصف السابق. وأريد أن أقول، إنهم لم يكن في إستطاعتهم أن يتحركوا نحو الشر، بل كانوا يستطيعون أن يتحركوا فقط نحو الخير لأنهم موجودون بالقرب من اللّه ويحصلون على الإنارة بالإشعاعات الأولى من اللّه، لأن الأرضيين يحصلون على الإنارة الثانية. لكني مضطر للتوقف

عن إعتبارهم أنهم لم يكن في استطاعتهم بالمرة أن يتحركوا ناحية الشر بل أتكلم عنهم فقط على أنه كان من الصعب أن يتحركوا نحو الشر بسبب ذاك الذي بسبب بهائه سُمّيَ يوسيفوروس[١١]، ولكنه صار **ظلمة** ودُعي **ظلمة** بسبب كبريائه ، هو والقوات التي تحت رئاسته، وصاروا خالقين للشر بتمردهم على اللّه، وأيضًا **صاروا محرضين لنا على الشر**.

خلق العالم المادي:

١٠) هكذا خُلق هذا العالم العقلي من فيض صلاح اللّه، بقدر ما أستطيع أن أتفكر في هذه الأمور وأتناول أمورًا عظيمة بلغتي الفقيرة. وبعد أن وجد خليقته الأولى في حالة حسنة، فكر في إبداع عالم ثاني، عالم مادي ومنظور، وهذا العالم هو منظومة مركّبة بين السماء والأرض وكل ما هو موجود بينهما، وهي خليقة جديرة بالإعجاب حينما ننظر إلى جمال كل شيء فيها، وهي أكثر جدارة بالإعجاب حينما نلاحظ التوافق والإنسجام بين المخلوقات وبعضها، إذ يتوافق الواحد مع الآخر والكل فيما بينهم في نظام جميل لكي يُكوّنوا كمنظومة كاملة متكاملة لعالم واحد. وهذا لكي يوضح أنه يستطيع أن يحضر إلى الوجود ليس فقط طبيعة شبيهة به بل وطبيعة مختلفة تمامًا عنه. لأن الكائنات العقلية هي شبيهة بالألوهية، وتُدرك فقط بواسطة العقل؛ أما كل المخلوقات التي تُعرَف بالحواس الجسدية فهي مختلفة تمامًا عن الألوهية، وأكثر هذه المخلوقات ابتعادًا هي تلك التي بلا نفس وعديمة الحركة. لكن قد يقول أحد المندفعين، ما الذي يعنينا من كل هذا؟ وقد يتساءل أحد من المشاركين في الاحتفال من المؤمنين المتحمسين «أُنخس الحصان لكي تصل إلى الهدف»، «حَدِّثنا عن العيد وعن الأمور التي من أجلها إجتمعنا اليوم ». هذا ما سوف أفعله. حالاً، رغم أني قد ابتدأت بأمور عالية إضطرني إليها حبي لها بالإضافة إلى ما يحتاجه حديثنا عن العيد.

خلق الإنسان:

١١) إذًا، فالعقل والجسد (المادي) المتميزين الواحد عن الآخر، يظلان كل واحد ضمن حدود طبيعته، ويحملان في ذاتهما عظمة الكلمة الخالق، وهما مسبِّحان صامتان وشاهدان مثيران جدًا لعمله الكلي القدرة. لم يكن بعد يوجد كائن مكون من الاثنين (العقل والحس) معًا، ولا أي إتحاد من هذه الطبائع المتضادة، إنه مثال أسمى للحكمة والتنوع في خلق الطبائع، ولم يكن معروفًا بعد كل غنى الصلاح. ولأن الكلمة الخالق قرّر أن يُظْهر غنى هذا الصلاح، ويخلق كائنًا حيًا واحدًا مكونًا من الاثنين معًا، ـ أي من الطبيعتين المنظورة وغير المنظورة ـ لذلك خلق الإنسان. ولقد خلق الجسد من المادة التي كانت موجودة، وبعد ذلك وضع فيه (أي الجسد) نفخة منه التي عُرفت بأنها نفس عاقلة وصورة للّه، ثم أقامه على الأرض كعالم ثانٍ عظيم في صغره؛ ملاك آخر، عابد مركب[١٢]. له معرفة كاملة بأعماق الخليقة المنظورة، أما الخليقة غير المنظورة فيعرفها جزئيًا فقط؛ ملك على الموجودات التي على الأرض ولكنه تحت سلطان الملك الذي في الأعالي. أرضي وسماوي، زمني ومع ذلك غير مائت. منظور ولكنه عقلي. في وضع متوسط بين الوضاعة والعظمة. هو نفسه روح وجسد في شخص واحد. روح بسبب النعمة التي وُهبت له، وجسد لكي يسمو الإنسان بواسطته. الواحد لكي يحيا ويمجد اللّه المحسن إليه، والآخر لكي يتألم وبالألم يتذكر، ويتم إصلاحه إذا تكبر بسبب عظمته. كائن حي يتدرب على الأرض لكي ينتقل إلى عالم آخر، وكأن غاية السر هو أن يصير إلهًا[١٣] بميله إلى اللّه. فإني أرى أن نور الحق الذي نناله هنا ولكن بقدر معين يتجه بنا لكي نرى ونختبر بهاء اللّه. الذي هو بهاء ذاك الذي كوّننا[١٤]، والذي سوف **يحلنا** ثم يعيد تكويننا بطريقة أكثر مجدًا[١٥].

الحالة الفردوسية للإنسان:

١٢) هذا الكائن (أي الإنسان) وضعه الخالق في الفردوس (أيًا كان هذا الفردوس)، وقد كرَّمه بهبة حرّية الإرادة، لكي يكون تمتعه باللّه عن اختيار **حرّ** ، بفضل عطية اللّه الذي غرس فيه هذه الحرية، ولكي يفلّح النباتات الخالدة التي تعني المفاهيم الإلهية، الأكثر بساطة والأكثر كمالاً معًا، عاريًا في بساطته وحياته غير المصطنعة، وبدون أي غطاء أو ستار، لأنه كان من الملائم لذاك الذي في البداية (أي الإنسان الأول) أن يكون هكذا. وأيضًا أعطاه ناموسًا ليظهر به حرية اختياره. هذا الناموس كان وصية من جهة النباتات التي يمكن أن يأكلها، والنبات الذي يجب أن لا يلمسه. هذا النبات الأخير كان شجرة المعرفة، وذلك ليس بسبب أنها كانت شريرة حينما غُرست في البداية، ولا حُرمت على الإنسان عن حسد (من ناحية اللّه، ولا ندع ألسنة أعداء اللّه تتحدث هكذا، كما لا نقلد الحية!).

السقوط:

وهذه الشجرة كانت يمكن أن تكون صالحة لو أن الإنسان أكل منها في الوقت المناسب (لأن الشجرة، بحسب رؤيتي، كانت هي رؤية اللّه التي هي مأمونة فقط بالنسبة لأولئك الذين **تكملوا** بالتمرن والنسك للإقتراب منها بدون مخاطرة)، لكنها ليست صالحة للذين لم يتدربوا بعد وللشرهين من جهة الشهوة، وذلك كالطعام القوي الذي ليس له فائدة للذين مازالوا ضعفاء ويحتاجون إلى اللبن (عب٥:١٢). لكن بسبب حسد إبليس وإغوائه للمرأة التي استسلمت لكونها أكثر ضعفًا، وبدورها حرّضت آدم لأنها كانت ذات تأثير عليه، وأسفاه على ضعفي! (لأن ضعف أبي الأول هو ضعفي)، إذ نسي الوصية التي أُعطيت له، واستسلم للأكل من الثمرة المهلكة، وهكذا طُرد في الحال من الفردوس ومن شجرة الحياة ومن حضرة اللّه بسبب خطيته، ولبس الأقمصة الجلدية ربما يعني أنه لبس الجسد الأكثر غلاظة، والقابل للموت والمناقض للأول[١٦].

وكأول نتيجة، شعرا بالخزي وإختفيا من وجه اللّه. وهنا حصل الإنسان الأول على **ربح له** وهو **الموت**، وقطع الخطية، حتى لا يصير الشر خالدًا، وهكذا فإن العقاب تحول إلى رحمة[١٧]، لأني أعتقد أن اللّه يفرض العقاب بدافع الرحمة.

تدبير الله للخلاص:

١٣) وبعد أن عاقب اللّه الإنسان أولاً ـ بطرق كثيرة، لأن

خطاياه كانت كثيرة (من التي نبتت من جذر الشر، والتي نشأت من أسباب مختلفة وفي أزمنة متفرقة)، أدّبه بالكلمة، والناموس، والأنبياء، والإحسانات، والتهديدات، والفيضانات والنيران، والحروب، والانتصارات، والهزائم، والعلامات في السماء، وعلامات في الهواء وفي الأرض وفي البحر، وبتغييرات مفاجئة للأمم والمدن والشعوب ـ كل هذه الأمور كانت تهدف لإبادة الشر ـ وأخيرًا إحتاج الإنسان لدواء أكثر قوة لأن أمراضه كانت تزداد سوءً: مثل قتل الأخ والزنى والقَسَم الكاذب، والجرائم الشاذة، وأول وآخر كل الشرور أي عبادة الأصنام وتحويل العبادة إلى المخلوقات بدلاً من الخالق (انظر رو١:١٨-٣٢). وبما أن هذه كانت تحتاج إلى معونة أكبر، لذلك حصلت على مَن هو أعظم. ذلك هو كلمة اللّه ذاته ـ الأبدي الذي هو قبل كل الدهور، وهو غير المنظور، غير المفحوص وغير الجسدي، البدء الذي من البدء، النور الذي من النور، مصدر الحياة والخلود، صورة الجمال الأصلي الأول، الختم الذي لا يزول، الصورة التي لا تتغير، كلمة الآب وإعلانه[١٨]، هذا أتى إلى صورته[١٩]، وأخذ جسدًا لأجل جسدنا، ووحّد ذاته بنفس عاقلة لأجل نفسي لكي يطّهر الشبه بواسطة شبهه، وصار إنسانًا مثلنا في كل شيء ماعدا الخطية إذ وُلد من العذراء التي طُهّرت أولاً نفسًا وجسدًا، بالروح القدس (لأنه كان يجب أن تُكرم ولادة البنين وأيضًا أن تنال العذراوية كرامة أعظم)، وهكذا حتى بعد أن اتخذ جسدًا ظل إلهًا، إذ هو شخص واحد من الاثنين، يا له من اتحاد عجيب، الكائن بذاته يأتي إلى الوجود، غير المخلوق يُخلق[٢٠]، غير المحوي يُحوى بواسطة نفس عاقلة تتوسط بين الألوهة والجسد المادي. ذاك الذي يمنح الغنى يصير فقيرًا، فقد أخذ على نفسه فقر جسدي، لكي آخذ غنى ألوهيته. ذاك الذي هو مليء يُخلي نفسه، لأنه أخلى نفسه من مجده لفترة قصيرة، ليكون لي نصيب في ملئه. أي صلاح هذا؟! وأي سرّ يحيط بي؟! إشتركتُ في الصورة؛ ولم أصنها، فاشترك في جسدي لكي يخلّص الصورة ولكي يجعل الجسد عديم الموت. هو يدخل في شركة ثانية معي أعجب كثيرًا من الأولى، وبقدر ما أعطى حينئذ الطبيعة الأفضل، فهو الآن يشترك في الأسوأ[٢١]. هذا العمل الأخير (التجسد) يليق باللّه أكثر من الأول (الخلق)، وهو سامي جدًا في نظر الفاهمين.

اتضع لأجلك فلا تحتقر تواضعه:

١٤) ما الذي سوف يقوله المعترضون والمجدفون على الألوهية، أولئك المشتكون ضدّ كل الأمور الجديرة بالمديح، أولئك الذين يجعلون النور مظلمًا، والذين لم يتهذبوا بالحكمة، أولئك الذين مات المسيح لأجلهم باطلاً، أولئك المخلوقات غير الشاكرة الذين هم من صنع الشرير؟ هل تحوّل هذا الإحسان إلى شكوى ضدّ اللّه ؟ هل تنظر إليه على أنه صغير بسبب أنه اتضع لأجلك؟ وهل تعتبره صغيرًا لأنه هو «الراعي الصالح الذي يبذل نفسه عن الخراف» (يو١٠:١١)، والذي أتى ليطلب الخروف الذي ضلّ فوق التلال والجبال والتي كانت تقدم فيها ذبائح لآلهة غريبة، وعندما وجده، حمله على منكبيه ، اللتين حمل عليهما خشبة الصليب، وأعاده إلى الحياة الأسمى، وعندما أعاده حَسِبَهُ مع أولئك الذين لم يضلوا أبدًا؟ هل تحتقره لأنه أضاء سراجًا الذي هو جسده، وكنّس البيت، مطهرًا العالم من الخطية، وفتّش عن الدرهم، أي الصورة الملكية التي دُفنت وغطتها الشهوات. وجمّع الملائكة أصدقاءه؛ عندما وجد الدرهم جعلهم شركاء في فرحه والذين جعلهم أيضًا مشاركين في سرّ التجسد؟ فبعد سراج السابق الذي أعّد الطريق، يأتي النور الذي يفوقه في البريق، وبعد «الصوت» أتى «الكلمة» وبعد صديق العريس جاء العريس، صديق العريس الذي أعد الطريق للرب شعبًا مختارًا، مطهرًا إياهم بالماء ليجهزهم للروح القدس؟ هل تلوم اللّه على كل هذا؟ هل على هذا الأساس تعتبره وضيعًا لأنه «شدّ الحزام على وسطه وغسل أرجل تلاميذه» (يو١٣:٤)، وأظهر أن التواضع هو أفضل طريق للرفعة؟ لقد اتضع لأجل النفس التي إنحنت إلى الحضيض لكي يرفعها معه، تلك النفس التي كانت تترنح لتسقط تحت ثقل الخطية؟ كيف لا تتهمه أيضًا بجرم الأكل مع العشارين وعلى موائد العشارين (انظر لو٥:٢٧)، وأنه يتخذ تلاميذًا من العشارين، لكي يربح... وماذا يربح؟ خلاص الخطاة. وإن كان الأمر هكذا، فيجب أن نلوم الطبيب بسبب أنه ينحني على الجروح ويحتمل الرائحة النتنة لكي يعطي الصحة للمرضى، أو هل نلوم ذاك الذي من رحمته ينحني لكي ينقذ حيوانًا سقط في حفرة كما يقول الناموس (انظر تث٢٢:١-٤، لو١٤:٥).

١٥) المسيح أُرسل، لكنه أُرسل كإنسان لأنه من طبيعة مزدوجة[٢٢]. لأنه شعر بالتعب وجاع وعطش وتألم وبكى حسب طبيعة كائن له جسد. وإذا استعمل تعبير «أُرسل» عنه، فمعناه أن مسرة الآب الصالحة يجب أن تعتبر إرسالاً، فهو يرجع كل ما يختص بنفسه إلى هذه الإرسالية، وذلك لكي يكرم المبدأ الأزلي وأيضًا لأنه لا ينبغي أن يُنظر إليه على أنه مضاد للّه. فقد كُتبَ عنه أنه سُلم بخيانة وأيضًا سلّم ذاته، وأيضًا كُتبَ عنه أنه أُقيم بواسطة الآب وأنه أُصعد، ومن جهة أخرى أنه أيضًا أقام ذاته وصَعد. فما ذُكرَ أولاً في كل عبارة فهو من إرادة الآب (أنه سُلِّم وأنه أُقيمَ)، أما الجزء الثاني من كل عبارة فيشير إلى قوته هو. فهل تفكر في الأمور الأولى التي تجعله يبدو وضيعًا، أما الثانية التي ترّفعه فأنت تتغافل عنها. وتضع في حسابك أنه تألم، ولا تحسب أن هذا الألم تم بإرادته. انظر فحتى الآن لا يزال الكلمة يتألم. فالبعض يكرمونه كإله ولكن يخلطون بينه وبين الآب، والبعض الآخر يحقرونه كمجرد جسد ويفصلونه عن اللاهوت. فعلى مَن يصبّ جام[٢٣] غضبه بالأكثر؟ أو بالأحرى مَن هم الذين يغفر لهم؟ هل الذين يخلطونه بطريقة جارحة أم أولئك الذين يقسمونه؟ فالأولون كان يجب أن يميزوا (بين الأقانيم) والآخرون كان يجب أن يوحّدوه[٢٤] (مع الآب). الأولون من جهة عدد الأقانيم والآخرون من جهة الألوهية. هل تتعثر من جسده؟ هذا ما فعله اليهود. ربما تريد أن تدعوه سامريًا ؟ ولن أذكر ما قالوه عن المسيح بعد ذلك (انظر يو٨:٤٨) هل تنكر ألوهيته؟ هذا لم يفعله حتى الشياطين. للأسف كم أنت أقل إيمانًا من الشياطين! وأكثر جهلاً من اليهود! فهؤلاء اليهود قد فهموا أن اسم ابن يدل على أنه مساوي في الرتبة

(أي مساوي للّه)، أما أولئك الشياطين فعرفوا أن الذي طردهم هو إله، لأنهم إقتنعوا بذلك بسبب ما حدث لهم. أما أنت فلا تعترف بالمساواة ولا تقرّ بلاهوته. كان من الأفضل أن تكون إما يهوديًا أو شيطانًا (لو عبّرت عن ذلك بطريقة مضحكة)، عن أن يتسلط على ذهنك الشر والكفر وأنت **أغلف وبصحة جيدة**.

كل هذا لأجلي:

١٦) بعد قليل سوف ترى يسوع ينزل ليتطهر في الأردن (مت٣:١٧) لأجل تطهيري أنا، أو بالحري ليقدس المياه بطهارته (لأنه لم يكن في إحتياج إلى التطهير ذاك الذي يرفع خطية العالم). وإنشقت السماوات، وشهد له الروح الذي من نفس الطبيعة الواحدة معه؛ وسنراه يُجَرَّب وينتصر على التجارب ويُخْدَم من الملائكة (مت٤:١-١١)، ويشفي كل مرض وكل ضعف (مت٤:٢٣) ويمنح الحياة للأموات (وليته يهبك الحياة أنت الذي متَّ بسبب هرطقتك)، ويطرد الشياطين (مت٩:٣٣) أحيانًا بنفسه وأحيانًا أخرى بواسطة تلاميذه. ويُطعم بخبزات قليلة آلاف من البشر (مت١٤:١٤)، ويمشي على البحر كأرض جافة (مت١٤:٢٥) ، ويُسلّم ويُصلب صالبًا خطيتي معه، وقُدِّمَ ذبيحة كحمل، وأيضًا قدم ذاته ككاهن يقدم ذبيحة، ودُفن كإنسان وقام ثانية كإله، ثم صعد إلى السموات لكي يعود ثانية في مجده. كم من الأعياد توجد لأجلي في كل سرّ من أسرار المسيح! وغاية كل هذه الأسرار تجديدي وتكميلي أنا لكي أرجع إلى حالة آدم الأولى.

١٧) إذًا، أرجوكم إقبلوا حمله في داخلكم (كما حملته العذراء في بطنها)، وإقفزوا فرحًا أمامه إن لم يكن مثل يوحنا المعمدان وهو في بطن أمه (لو١:١)، فعلى الأقل مثل داود أمام تابوت العهد (٢صم٦:١٤). وعليك أن تحترم الإكتتاب الذي بسببه كُتبت أنت في السموات. واسجد للميلاد (لو٢:١-٧) الذي بواسطته فُككت من ولادتك الجسدية. واكرم بيت لحم الصغرى التي أرجعتك مرة أخرى إلى الفردوس. واسجد لطفل المذود الذي به تغذيت باللوغوس (الكلمة) بعدما كنت ضالاً. اعرف قانيك كما يعرف الثور قانيه، والحمار معلف صاحبه، حسب قول إشعياء (١:٣)، ذلك إن كنت من الطاهرين الذين يكرمون الناموس وينشغلون بترديد أقواله باجترار، واللائقين للذبائح. أما إن كنت من أولئك الذين لا يزالون نجسين ولم يكن يحق لهم أن يأكلوا من المقدسات، وغير لائقين لتقديم الذبائح، وهم من الأمم الوثنيين، فأسْرِع مع النجم وقدم هدايا مع المجوس ذهبًا ولبانًا ومرًا كما لملكَ وإله ولواحد قد مات لأجلك. مجّده مع الرعاة، وسبحه مع خورس الملائكة، ورتل تسابيحك مع رؤساء الملائكة. فليكن هذا الإحتفال مشتركًا بين القوات السماوية والقوات الأرضية. لأننى أؤمن أن الأجناد السماوية يشتركون في التمجيد معنا، ويحتفلون بالعيد العظيم معنا اليوم، لأنهم يحبون البشر ويحبون اللّه، كما كتب داود عن أمثال هؤلاء الذين صعدوا مع المسيح بعد آلامه لكي يستقبلوه وهم ينادون أحدهم الآخر ان يرفعوا الأبواب الدهرية (مز٢٣:٧-٩).

بيت لحم والصليب والقيامة:

١٨) هناك أمر واحد فقط مرتبط بمناسبة ميلاد المسيح، أريدكم أن تبغضوه، ألا وهو قتل الأطفال على يد هيرودس، أو بالحري يجب أن تكرموا أيضًا، هؤلاء الذين ذُبحوا وهم من نفس عمر المسيح، هؤلاء صاروا ذبيحة قُدمت قبل الذبيحة الجديدة (أي الصليب).

كن ملازمًا للمسيح:

عندما يهرب إلى مصر اهرب أنت معه؛ ورافقه فَرحًا في المنفى. إنه عمل عظيم أن تشترك مع المسيح المضطَهَد. وإن أَبطأ كثيرًا في مصر فادعوه من هناك بتقديم عبادة خاشعة له هناك. إتبع المسيح بلا لوم في كل مراحل حياته وكل صفاته. تطهر واختتن؛ إنزع البرقع الذي كان يغطيك منذ ولادتك. بعد ذلك علّم في الهيكل واطرد التجار من هيكل اللّه، اسمح لهم أن يرجموك لو لزم الأمر، فإني أعرف جيدًا أنك سوف تفلت من بين هؤلاء الذين يرجمـوك مثل اللّه (يو٨:٥٩). لأن الكلمة لا يُرجم. إن جاءوا بك إلى هيرودس لا تعطيه إجابة عن أغلب أسئلته؛ فسوف يحترم صمتك أكثر من احترامه لأحاديث الشعب الكثيرة. إذا جلدوك اطلب منهم أن يتمموا كل الجلدات. ذُق المرّ واشرب الخل؛ واطلب أن يبصقوا على وجهك؛ اقبل منهم اللطمات والشتائم، وتوّج رأسك بإكليل الشوك، أي بأشواك حياة التقوى. إلبس ثوب الأرجوان وأمسك القصبة في يدك، واقبل السجود بسخرية من أولئك الذين يسخرون من الحق؛ أخيرًا فلتُصلب مع المسيح واشترك في موته ودفنه بفرح لكي تقوم معه وتتمجد معه وتملك معه. انظر إلى اللّه العظيم الذي يُسجد له ويمجد في ثالوث، ودعه ينظر إليك وليته يظهر الآن بوضوح أمامك، بقدر ما تسمح قيود الجسد، بيسوع المسيح ربنا الذي له المجد من الآن وإلى الأبد آمين.

---

١ :الظلمة تنقشع بولادة الرب مثلما حدث أثناء خلق العالم بخلق النور الذي جعل الظلمة التي كانت تغطى الأرض تنقشع (تك ١:٢وفيما بعده). ٢ انظر (خر١٠:٢١). يقصد بمصر العالم الذي يعيش في ظلمة. ٣ يشير كل من «الحرف» و «الظلال» إلى «الناموس» الموسوي، بينما كل من «الروح» و «الحق» إلى الحياة الجديدة التي ظهرت في العالم بميلاد المخلّص. ٤ العالم السماوي يكتمل بعودة الجنس البشري إلى الموطن السماوي. ٥ يشير هنا القديس غريغوريوس إلى «الأكل من الثمرة المحرمة » الذي تسبب في سقوط الآباء الأولين (تك). ٦ يشير هنا إلى أنه غريب وليس من أهل القسطنطينية، وهو يلقي خطابه بعد وصوله إليها بفترة قصيرة بعد أن كان يعيش في كبادوكية البعيدة عن القسطنطينية ويخدم في مواضع صغيرة وغير مشهورة مثل نازينز التي جاء منها.٧ أي من خلال أفعاله الإلهية. ٨ قدس الأقداس هنا يعنى الثالوث القدوس. ٩ على الأغلب يشير القديس غريغوريوس إلى القديس أثناسيوس الرسولي الذي انشغل بمهارة فائقة بالتعليم عن اللّه في كتابه ضد الآريوسيين. ١٠ يدعو القديس غريغوريوس اللّه **بالصلاح**، وكان هذا معتاداً عند الآباء أن يستخدموا صفات اللّه كأسماء للّه. ١١ يوسيفوروس يعني حامل الفجر أي النور. أول إشارة إليه كانت في سفر إشعياء (١٢:١٤)، لكن ظل يُدعى شيطان Satana وهي كلمة من الفعل العبري (שטן) Satan بمعنى المقاوم. ١٢ أي من المادة والروح. ١٣ ﴿ الأصل اليوناني يشدّد على عمل التأله بالنعمة وليس على الفضائل...﴾. ١٤ أي من المادة والروح. ١٥ يشير القديس غريغوريوس إلى الخلق بواسطة إتحاد الجسد والنفس، والموت هو انحلال هذا الإتحاد ثم يأتي بعد ذلك إعادة هذا الإتحاد في الدهر الآتي بأكثر مجداً.١٦ هنا يشرح القديس غريغوريوس مفهوم الأقمصة الجلدية. ١٧ هنا نتذكر قول القداس الغريغوري: «حوّلت لي العقوبة خلاصاً». ١٨ انظر القداس الغريغوري الذي يخاطب المسيح الكلمة بقوله «الذي لا ينطق به، غير المرئي، غير المحوي، غير المبتدئ، الأبدي، غير الزمني، الذي لا يحد، غير المفحوص، غير المستحيل (أي غير المتغير). وهذا يوضح أن القداس هو من وضع القديس غريغوريوس نفسه الذي تفوه بهذه العظة وغيرها من الخطب والعظات المعروفة باسمه. ١٩ أي إلى الإنسان الذي خلق على صورته. ٢٠ بناسوت خلقه هو في أحشاء العذراء. ٢١ أعطى اللّه في الخلق نعمة الخلق «على صورة اللّه» بينما في التجسد يأخذ الجسد: «أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له». ٢٢ ﴿المسيح هو إله كامل وإنسان كامل ما خلا الخطيئة (جمعية نور المسيح)﴾. ٢٣ يقصد أصحاب بدعة سابيليوس الذي قال إن الآب هو نفسه صار المسيح وصلب وبعد صعود المسيح جاء باسم الروح القدس أي الثالوث أقنوم واحد وليس ثلاثة أقانيم للاهوت واحد. ٢٤ يقصد الآريوسيين.

الفصل الثامن سلطان الملائكة في الأزمنة الأخيرة

م.باسيليا شلينك

لا توجد حقبة أخرى في التاريخ سوف يستعلن فيها قوة الملائكة وسلطانها ، وعظمتها ، ومقدرتها قدر ما سيكون في نهاية الأزمنة. حينما يستخدمها اللّه لتنفيذ دينونة غضبه ، ولقد رأينا ، كيف كان اللّه يستخدم ملائكته خلال حقب التاريخ السالفة كمنفّذين لدينونته وقضائه ، موقعين القصاص على أعداء مختاري اللّه ، وخاصة حينما يحيق بهم الخطر ... فنحن لنقرأ في سفر الخروج كيف أن ملاك اللّه قد عاون في إعاقة جيش مصر عن اللحاق بالإسرائيليين الهاربين حتى عبروا البحر الأحمر بسلام ، بينما غرّق المصريون في المياه لما شرعوا في السعي ورائهم. (خروج ١٤:١٩-٣١)، وفي أزمة حصار **سنحريب ملك أشور** للمدينة المقدسة ، نجد ملاك الرب يضرب **١٨٥ ألفاً** من جيش الأشوريين. (٢ملوك١٩:٣٥ ، أشعياء ٣٧:٣٦).

ولا يوقع الملائكة القصاص فقط على أعداء اللّه ، بل إنّنا نجدهم في أحيان أخرى يوقعون القصاص على شعب اللّه نفسه ، أو على واحد من أصفيائه المختارين نظير داود الملك الذي رأى الملاك المُهلك مرسَلاً لتنفيذ الدينونة بسبب خطيّة الملك (٢صموئيل ٢٤).«رفع داود عينيه فرأى ملاك الرب واقفاً بين الأرض والسماء وسيفه مسلول بيده وممدود على أورشليم» (١أخبار٢١:١٦).

في هذه الحادثة نرى لمحة من قوّة الملائكة في الدينونة ، التي سوف تستعلن في نهاية الزمان ، على نطاق عالمي واسع ؛ إنّ كل ما في قلب اللّه من محبة للأنسان أو غضب بسبب عصيانه ، يفيض به أيضاً في ملائكته لتنفيذ عقاب اللّه على الإنسان عند صدور الأمر إليها: فالملائكة هم الناقلون ـ في أصدق ما تحمله الكلمة من معنى ـ لطبيعة اللّه ، وفكر اللّه ، وإرادة اللّه ، وأقوال اللّه ، ذلك لأنّهم ينتمون بالكليّة له.

إنّ ما في قلب اللّه من كلمات وأفكار ، يمكن أن نكتشفه في قلوبهم، وفي نهاية هذا التدبير سوف يتضح هذا بكل جلاء حينما ينصبّ غضب اللّه، الذي أحتجزه طيلة هذه الأجيال على إنسانيّة خاطئة فاضت بآثامها فخرّبت الأرض ، وحوّلتها إلى جحيم ، وهكذا سوف ينصَبّ غضب اللّه في تفاعل ضد أهوال الخطيّة.

وفي نفس الوقت، نجد الشيطان خلال هذه الفترة قد وصل حقده مداه ، فجحافله تتدافع من مراكز سلطانها في الهواء لتنزل إلى الأرض ، بينما تفتح الهاوية أبوابها لتتدفق منها الأبالسة التي في السجن ... لتلتقي مع الأفواج الجهنميّة الأخرى على الأرض الخاطئة! وكجيش منظم ، قوامه ملايين الشياطين تسود تلك الفرَق الجبّارة تحت قيادة سيّدها **لوسيفر**،ووفق مخطّطه لتكسب لنفسَها شعوباً من كل الأجيال ، والرُتَب والطبقات ، وهكذا تتقدم **أرواح الدنس والشهوة ، والثورة ، والنفاق ، والسحر وكل مذمّة** أكثر فأكثر ثم يبدأ الهجوم المضاد !!

نعم .. حينما تدنو ساعة الدينونة الألهيّة ويحين يوم القضاء ، فإنّ جيوش اللّه الملائكيّة تهجم في قوّة اللّه لتسحق على نطاق

واسع الشيطان وجنوده بكل محاولاتها لشيْطنة الوجود ، وأبْلَسَة البشريّة ، وسيادة الشرّ بين البرية ، وفي ملء الحماس يدخل الملائكة جنود اللّه نطاق المعركة وقد أعدّوا العدّة لعملياتهم .. وهكذا نرى ميخائيل رئيس الملائكة مرّة أخرى يلتحم في الحرب مع الشيطان ، الذي خرّب العالم ، ولن يكون إلى جوار الرئيس ميخائيل جنود فحسب ، بل كافة الأجواق الملائكيّة ، النظام الملائكي بطاقمه العظيم ، من الرتب العليا إلى الرتب الدنيا ، سوف تتلتئم في قوّات متحدة عظمى ، وحلف سماوي جبّار لا يُقاوم .

وهنا كأنّي بتعبّد الملائكة أمام عرش اللّه يتوقف إلى حين ، ثم يسود الصمت الذي هو كالهدوء الذي يسبق العاصفة ، وإذا بأصوات الأبواق الجبّارة التي تشبه صيحات الهجوم في الحرب ، وإذا بدمدمات الرعد المزمجر تنطلق معلنة بدء المعركة الفاصلة ، بينما تنطلق صيحات اليوبيل والأنتصار كصوت مياه كثيرة معلنة عن النصرة المقبلة ، وهكذا تبدو السماء بكاملها كما يخبرنا سفر الرؤيا في حالة من النشاط ، وإذا بأمواج النقمة الإلهيّة تخرج متدفقة من عرش اللّه لتلهب حماس ألوف ألألوف ، وربوات الربوات من ملائكته القديسين الذين يكوّنون جيوشه ؛ وهكذا يملأهم غضب اللّه على العالم الذي أفسدته الخطيّة وعلى الإنسان الذي خُلِقَ على صورة اللّه ومثاله ، ولكنه الآن أصبح يعكس صورة الشيطان ، وبنظرة واحدة ، أو كلمة أمر واحدة ، من ديّان كل الأرض ، تتدافع الكائنات السماوية كسهام في كل الأتجاهات لتنفّذ قضاء اللّه على البشرية والعالم ، وتدخل في المعركة الختاميّة مع الشيطان ، محاربة حتى النصر ...

وتتلو موجة من الغضب موجة أخرى ، وبعد أختام القضاء تزمجر أبواق القضاء ، لتتلوها جامات الغضب لآلاف السنين ظلّ اللّه يتحمل في صبر كلّ شرور العالم وتحدّيا الإثم ، ولكن ها قد طفحت الكأس (يوئيل ٣:١٣)، وها هو اللّه يخرج عن صمته ، ويتحدث في نقمته ، وقصاصه ، في ضربات رهيبة ، تُظهر لنا أنّه الربّ الحيّ الديّان ، الذي يستخدم الملائكة وسائط لتنفيذ دينونته وغضبه. ومن عرشه يصدر الأمر إلى ملائكته لتنفيذ القضاء ، وإذا بالمسكونة تتزلزل من هيبته، وتحت ضربات دينونته ، حينما يتدافع الملائكة ليصبُّوا نقماته على الأرض إطالة لتعليمات الأله الكليّ القداسة ، وفي كلّ شبر من بقاع البسيطة سوف يستطيع المرء أن يلمس غضب الملائكة ونقمتها عندما يدوي صوت كلّ بوق.

يتبع في العدد القادم

الأرثوذكسيّة
قانون إيمان لكل العصور

(٧)

الأب: أنتوني م. كونياريس

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

اللّه

يقول قانون الإيمان النيقاوي: إنّنا نؤمن في «إله». مَن هو هذا «الإله» وماذا يشبه ؟

كتبت ذات مرَّة فتاة صغيرة وقالت: ﴿ سألتُ والدتي: اللّه ماذا يُشبه؟ فلم تعرف. سألتُ مُدّرستي: اللّه ماذا يشبه؟ فلم تعرف. سألتُ والدي ، الذي يعرف أكثر من أي أنسان آخر في كل العالَم: اللّه ماذا يشبه؟ فلم يعرف.

فتفكَّرتُ في نفسي وقلتُ: إن طالَ عُمري مثل أبي وأمي ، فقد أعرف شيئاً عن اللّه ﴾.

ماذا نعرف عن "اللّه الذي نقول إننا نؤمن به" ؟

كان الراعي الإنجليزي ج. أ. شتودرت كينيـدي يهتم جداً بشعبه وظلَّ يرعاهم بعناية خاصّة إبان الحرب العالمية الأولى ولمدة ثلاث سنوات وظلّ يتتبعهم في آلامهم ، في الوحل وفي الدم ، وكان السؤال الكبير الذي يلاحقه أكثر من جميع الأسئلة هو: اللّه ماذا يشبه؟ ويتكلم الراعي عن جندي جريح سأله وهو مطروح في المستشفى: «إنّ ما أريد أن أعرفه يا أبي هو: اللّه ماذا يشبه؟ ، إنني عندما سوف أُرَحَّل إلى كتيبة أُخرى فإنني أريد أن أسأل عن قائدها ومن يشبه ، إنه رئيس الجماعة وقائدها ، والوضع يختلف تماماً بالنسبة لي عندما أعرف ما هي صفة القائد ونوعه، إنني الآن في كتيبة بشرية في الجيش وأريد أن أعرف ماذا يشبه رئيس وقائد هذه الخليقة ، إن هذا واجبك يا أبي ، ويجب عليك أن تعرف الإجابة».

ليس في ساحة القتال فقط يُطرح هذا السؤال، ولكنه يُطرح على الدوام ، وفي كل مكان يريد الناس أن يعرفوا طبيعة وَصفَة هذا الـ «واحد» الذي يقف وراء العالَم ، هذا الـ «واحد» الذي «به نحيا ونتحرك ونوجد».

ما نعتنقه عن اللّه أمرٌ هام:

إن ما يؤمن به شخص بخصوص اللّه ليس هو مجرَّد إيمانه الخاص كما يظن البعض ، لأن هذا يؤثِّر فينا كلنا نحن الذين نعيش معه في نفس العالم ، وكمثال على ذلك فإن ما اعتنقه البعض عن اللّه قد تسبّب في أشرس الحروب ضراوة في العالم الذين كان «مولوك» هو إلههم ، كانوا يلقون بأطفالهم في النار كي يسترضوا هذا الإله ، والذين كانوا يؤمنون بالإلهة «كالي» «kali» كانوا يشنقون الرجال على شرفها ، لأنهم كانوا يظنون أنهم بهذا الفعل يسترضونها . يقول الأطباء النفسانيون اليوم: إن ما يعتنقه الإنسان عن اللّه هو أمرٌ مُرتبط بالصحة العقلية والعاطفية للشخص وما نعتنقه عن اللّه قد يريحنا ويعزِّينا أو يرعبنا ويزعجنا ، وهذا بحسب الصورة التي نتخيلها عن اللّه.

نحنُ نُلبِس اللّه مفاهيمنا التي كوَّنّـاها مُسبقاً عنه:

من المهم جداً ، إذا ما تكلمنا عن اللّه، أن نحدّد ماذا نقصد ، وتماماً مثلما عمل الجنود الرومان وألبسوا يسوع رداء قائد روماني، هكذا نُلبسه نحن اليوم كل ما نفترضه مسبقاً عنه . إنّنا نعمل اللّه على صورتنا. اكتشف «فرويد» «Freud» أن عدداً من مَرضاه كانوا يشعرون أن اللّه يعاقبهم، وكان العامل الأساسي في مرضهم هو الخوف من اللّه، وفي كل مرَّة كان فرويد يسأل مرضاه ماذا يقصدون باللّه، كان يندهش من التشابه الذي يصفه هؤلاء المرضى بين إلههم وبين والديهم. كانت صورة اللّه عندهم هي صورة والديهم ، فإن كان والدهم طاغياً ، هكذا يكون إلههم، وهذا الذي اكتشفه فرويد كان عاملاً مساعداً في مرضهم.

حقيقة. إنه يوجد إله واحد ، ولكن توجد أفكار كثيرة عنه، فبعض الأشخاص لم يغيّروا فكرتهم عن اللّه منذ الطفولة، إنهم قد عدَّلوا أفكارهم عن أشياء أخرى في الحياة ، ولكن لا يزال اللّه بالنسبة لهم شخصاً ذا لحية طويلة ، وجالساً على كرسي من رخام في مكان ما فوق السحاب ، وهو محاطٌ بجوقات من الملائكة يعزفون على القيثارات ، أو قد يكون اللّه هو ضابط الشرطة المُوكَّل بالعالم ، والجاسوس الأعظم الذي عيناه تجولان في كل مكان ينظر ويحدِّق ويبحث عن الأشياء الدنيئة التي يصنعها الناس ليعاقبهم عليها ، أو يكون «سانتا كلاوس» «Santa Claus» بابا نويل العالمي الشهير المُحمَّل بالهدايا، أو يكون أعظم مهدّىء أتى ليُخفّف من "نرفزتنا" ويحفظ لنا ضغط الدم من الأرتفاع، أو يكون اللّه هو الساكن في الطابق الأعلى لبيتنا ويَودُّنا جداً، كما قد يكون اللّه هو كاتب الحسابات السماوي الذي يقتفي آثار فضائلنا وتعدياتنا، ويوماً ما سوف يَزِنُ ما في الكتب، وقد نتصوَّر اللّه هو الولد الذي يوصِّل الناس إلى أماكنها في الفندق ، الذي تدعوه فقط عندما تكون في ضيقة ثم تصرفه إلى حين الأحتياج الماس إليه في مرَّة أخرى ، كما قد يكون اللّه هو القاضي الغضوب الذي لا يمكنه أن يطيل أناته بل يصبُّ رجزه على الخطاة. هذه بعض مفردات قائمة الصور الكاذبة عن اللّه والتي تشغل بعض الناس، ولكن **ليس اللّه هكذا !**

أنظر أيضاً إلى الوالدين الذين يقولون لأولادهم: «إن لم تكن ولداً

صالحاً، فإن والدتك لن تحبّك» ، والأردأ من هذا عندما يُقال: «إن لم تكن ولداً صالحاً ، فإن اللّه لن يحبّك». مثل هؤلاء الوالدين يعطون أولادهم إنطباعاً كاذباً بأن اللّه يحبهم، فقط ، عندما يكونون صالحين ، وقد نسوا كم أحبَّ الأب ابنه المخطىء في مَثَل الابن الضال ، وكيف أنه وقع على عنقه وقبَّله واحتضنه عندما عاد إلى المنزل. عندما نجد اليوم شخصاً ما يسقط في تعديات أخلاقية ، فإنّنا نجعله يشعر كما لو كان لم يَعُد ينتسب إلى الكنيسة ، وبدلاً من أن نعكس له حبّ الآب ونكون له محبّين ، مسامحين، ناصحين، متفاهمين، جماعة متقبلة له . ومساعدة له ليستعيد احترامه لنفسه ، نجد أنفسنا نحن الذين داخل الكنيسة نرفضه ، وهكذا نُعطي ألُئك الذين يسقطون أخلاقيّاً الأنطباع أن اللّه لم يعد يحبّهم وأنه رَفَضَهم. لا نعجب إذاً مما يقوله "بردييف" "Berdyaev" : «إن ما يسميه الناس بنوع من الوثنية اللّه ، ليس هو إلاَّ الشيطان وليس اللّه» .

فكرة أُخرى كاذبة تماماً عن اللّه هي أنه هو الذي يرسل لنا الأمراض والآلام في الطريق. إننا نتَّهمه في كلّ مرّة نقول فيها: «إنها مشيئة اللّه» عندما يحدث لنا شيء رديء (ونادراً ما نقول هذا عندما يحدث لنا شيء حسن!). تصوَّر معي الحال ونحن بكل أسى وانكسار قلب نتهم اللّه بسبب الآلام الناجمة عن السرطان أو أمراض القلب! كيف يمكن لأي شخص أن يثق في إله مثل هذا ؟ إن يسوع قد برّأ اللّه من هذا النوع من الإتهامات عندما قال عن المرأة التي كانت منحنية لمدة أعوام كثيرة إنه: «ربطها الشيطان» (لو١٣:١٦) ، لم تكن إرادة اللّه وراء هذا المرض ، ولكن كان وراءه الشيطان ، بل وبولس الرسول نسَب مرضه المزمن إلى الشيطان. إن الشرّ قد يكون بسبب جهل الإنسان أو بسبب خطيته أو بسبب الشيطان ، ولكنه ليس بالضرورة هو إرادة اللّه. إن الدموع التي ذرفها يسوع عند قبر لعازر تبيّن لنا أنّ اللّه ينكسر قلبه للغاية بسبب آلامنا البشرية. كذلك نحن إن آمنا به للدرجة الكافية التي تجعلنا نأتي إليه بآلامنا ، فإننا نصدِّق أنه يمكنه أن يُخرج منها صلاحاً. وبخصوص هذا الموضوع يقول القديس بولس: «إننا نعلم أن اللّه يعمل في كل الأشياء للخير للذين يحبونه» (رو٨:٢٨)، ويقول إشعياء: «في كلّ ضيقهم تضايَق، وملاك حضرته خلَّصهم» (إش٦٣:٩).

اللّه شخصٌ أم شيءٌ ؟

عندما يستخدم البعض كلمة «اللّه» ، فإنهم قد يقصدون شيئاً مثل «أصل الوجود» أو «قوَّة الحياة» أو «الكائن الأسمى» ، كما لو كان اللّه ليس مُشخّصاً إنما مُجرّداً. إنهم يتحاشون فكرة أن اللّه شخص، ويجعلونه شيئاً ما، ليس He ولكن It . إن الكتاب المقدس عندما يتكلم عن اللّه، فهو يستخدم الصفة الشخصيّة. يصوِّر الكتاب المقدس اللّه كشخص يمكننا الاتصال به، شخص يخاطبنا ويمكننا أن نخاطبه. ولكن عليك أن تلاحظ أننا عندما نتكلم عن اللّه ونقول إنه مُشخَّص ، فنحن لا نقصد أنه شخص مثلنا له ذراعان ورجلان ويدان ... إلخ ، ونحن نقصد أنه مهما كان اللّه غير ذلك (وهو حقّاً أعظم جداً مما يمكن أن نتصوّر)، إلا أنه على الأقل شخص يمكننا أن نُكوِّن علاقة شخصية معه، وحيث إنه لا يمكننا الاتصال بالحجارة ولكن بالأشخاص ، لذلك فنحن نقول إن اللّه مُشَخَّص.

يسوع :

لو نظرنا الى جميع الأفكار عن اللّه والتي وُجدت خلال كل الدهور ، فإننا نجد أنفسنا نتساءل: كيف يمكننا أن نعَرف اللّه وماذا هو يشبه حقيقة؟

والإجابة هي: كيف يمكننا أن نخفق في ذلك ؟ ، فمنذ أن أتى يسوع يعلِّم ويشفي ويغفر ويحبّ ويذوق الموت لأجلنا ، لم نعُد بعد في ظلام عدم معرفة اللّه. إننا أصبحنا نعرف أن اللّه مثل يسوع المسيح ، وصار يسوع هو: «أفضل صورة يمكننا على الإطلاق أن نأخذها عن اللّه» ، إن يسوع فقط هو الوحيد الذي يملأ الكلمة «اللّه» بمعناها.

كتب القديس يوحنا: «والكلمة صار جسداً وحلَّ بيننا .. مملوء نعمة وحقّاً ورأينا مجده ، مجداً كما لوحيدٍ من الآب» (يو١:١٤).

وقال **يسوع**: «أنا والآب واحد» (يو١٠:٣٠)،«من رآني فقد رأى الآب ... أنا في الآب والآب فيَّ» (يو١٤:٩و١١).

يسوع هو: « صورة اللّه غير المنظور... فيه سُرَّ أن يحل كلّ ملء اللّه» (كو١:١٥و١٩).

في **يسوع** نرى **اللّه الحقيقي الوحيد** ، ولهذا السبب فنحن ندعوه: «نورٍ من نور» ، «إله حقّ من إله حقّ».

توجد أفكار متعدّدة عن اللّه، ومنها قاض غاضب، سادي (الساديَّة هي التلذّذ بالقسوة) ، سوفَ يُنْزِل بنا العذاب والألم والموت ، ***Cosmic Bellboy*** أي الولد العالميَ الذي معه الجرس ليوصِّل الناس إلى أماكنها ، الرَجل العُلوي، جدٌ هَرِمٌ ، المدبّر الأوّل، قوّة الحياة ، **غول كبير** على غرار أب أو أم بلا رحمَة.

كل هذه التصورات عن اللّه تصير غير حقيقيّة بنظرة واحدة إلى **يسوع** ، لأنه وحده ، وليس آخر سواه ، هو «النموذج الكامل» لما ينبغي أن يكون عليه اللّه. للإجابة عن ماذا يشبه الإله الحقيقي الوحيد ، يجب أن ننظر إلى يسوع ، ونستمر في التطلُّع إليه ، حتى نأتي إلى الأعتقاد أنه لا يمكن أن يكون شيء حقيقي عن اللّه إلاّ إذا كان في توافق تام مع صفات يسوع.

يظن بعض الناس أن اللّه ضابط شرطة يقتفي بلا هوادة أثر الهاربين المتهمين حتى يقبض عليهم داخل أسوار السجن ، ولكن بعيداً عن هذا الظن تماماً قال يسوع إن إلهنا مثل راعٍ يترك بقيّة القطيع في الحظيرة ويذهب باحثاً عن خروف ضال واحد ، وعندما يجده فإنّه يهدهده برفق على ذراعيه ويعود به إلى دفء وأمان القطيع. وضَعَ الرسول يوحنا رأسه في حضن المخلص واكتشف أن: «اللّه محبّة».

صراع يعقوب مع الله وظهور إسم إسرائيل

للقديس كيرللس الإسكندري

الجزء الثاني والأخير.

عندما صارع يعقوب وهُزم وأُصيب في الظلمة بإنخلاع حُق فخذه، أمْسَكَ مُصارعه في الحَال مستعطفًا إياه أن يباركه حين بدأ طلوع الفجر، ونالَّ حقًا البركة وسُمِّي بإسرائيل. عصيان إسرائيل وعدم إيمانه بسبب جهله ووجوده في الظلمة، أي ظلمة الجهل. هذا العصيان قد تبدَّل بفعل عمانوئيل. إذ أن إسرائيل كان عديم الإحساس ولم يعترف بعمانوئيل إلاّ بعدما أشرق على عقله بالنور الإلهي . وباركه المسيح، لكن ليس كل إسرائيل بل جزء منه، أقصد أولئك الذين آمنوا، لأنه كما هو مكتوب « أيضًا قد حصلت بقية حسب إختيار النعمة» (رو١١:٥)، وآمن عدد ليس بقليل من اليهود (انظر أع١٧:١٢). والتلاميذ العظماء ـ قبل الجميع ـ كانوا مثل يعقوب لديهم ناموس بلا فاعلية، وقد إجتازوا وابتعدوا بسرعة ورحلوا ودخلوا في صراع مع اللّه (لأنهم بالنسبة للناموس كانوا بلا لوم) لكن بعد ذلك صاروا مثل إسرائيل لديهم عقل يعاين اللّه. إذ أنهم عرفوا المسيح: مَنْ هو؟ ومن أين وُلد وصار مثلنا؟، وما هي طريقة تدبيره بالجسد؟ هذا ما أقصده حين أقول قبلوا في عقلهم نور المعاينة الإلهية الحقيقية. وكون أن معرفة اللّه هي أعظم وأكثر سموًا وفائقة جدًا على طريقة الحياة وفق الناموس، يخبرنا هو نفسه قائلاً بواسطة نبي من الأنبياء: « إني أريد رحمة لا ذبيحة ومعرفة اللّه أكثر من محرقات» (هو ٦:٦). وبولس الذي وُلدَ « وفق برّ الناموس» (فيلبي٣:٦)، وكان أيضًا بلا لوم وفق الناموس، يقول: «أحسب كل شيء أيضًا خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي» (فيلبي٣:٨). وكون أن المعرفة الحقيقية عن المسيح هي أسمى أيضًا من الرضى والارتياح الذي يأتي من تتميم أعمال الناموس، فهذا ما يوضحه بولس الرسول حيث كتب إلى تيموثاؤس حاثًا إياه على التدرب في الفضيلة والتقوى: «لأن الرياضية الجسدية نافعة لقليل ولكن التقوى نافعة لكل شيء إذ لها موعد الحياة الحاضرة والعتيدة» (١تيمو٤:٨)، وكما قال المخلص نفسه إلى أبيه السماوي: «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته» (يو١٧:٣). بناء على ذلك، لو صار أحد مثل يعقوب ، بمعنى إنه إستطاع أن يجتاز ويرحل بسهولة وبقوة من أي شيء يعيقه ويدعوه إلى الخطية، سوف يرتقي بنعمة المسيح في الفهم الذي يليق بالقديسين، وسوف يُدعى إسرائيل، أي الذي يرى اللّه. وحينذاك سيكون قويًا بالنسبة للناس طالما أنه قوة اللّه قد سندته. لأنه لا يمكن لضعف المرضى أن يجعله يعرف اللّه وأن يختار هذه المعرفة، حتى ولو أنه ما زال يراه كما في مرآه في لغز (انظر١كو١٣:١٢)، والموجود في هذا المستوى يعتبر الأمور الجسدية والعالمية غير جديرة بالحديث عنها، ويستطيع أن يُسرع بتدبير فائق نحو هذا الذي يريده اللّه، لأنه سيكون قويًا بين الناس وسوف ينتصر مع اللّه وبه. حسنًا لقد نال يعقوب البركة توسَّل إليه قائلاً : «أخبرني باسمك» فأجابه: «لماذا تسأل عن اسمي؟» (تك٣٢:٢٩). ولم يقل له اللّه اسمه مبرهنًا بذلك على أن اسمه متطابق مع طبيعته. لأنه لا يمكن أن يوجد اسم خاص للّه، مثلما يحدث مع الإنسان، لكن الألقاب التي هي وفق طبيعته تُنسب إليه بطرق كثيرة. هكذا يُدعى: « **نور وحياة وقوّة وحقّ، ووحيد الجنس وبرّ وفداء**». لقد أدرك يعقوب أيضًا أن اللّه ليس له إسم خاص، فأعطى للمكان الذي رأى فيه اللّه إسم «فنئيل» لأنه يقول « لأني نظرت اللّه وجهًا لوجه ونُجيت نفسي» (تك٣٢:٣٠). لاحظ لقد صار إسمه إسرائيل أي «الذي يرى اللّه». إنه يقول أنه رأى اللّه وجهًا لوجه ونجت نفسه بينما كان يصارع إنسانًا. لأن **معرفة المسيح هي معرفة خلاصية**. إذن الكلمة المتجسد هو اللّه، إذ أن يعقوب البطريرك يقول أنه رأى اللّه وجهًا لوجه. وعندما «أشرقت له الشمس» رحلَ عنه منظر اللّه، لذا يقول: « إذ عبر فنوئيل وهو يخمع على فخذه» (تك٣٢:٣١). لقد توقَّف الصراع ـ كما قُلت ـ عندما إستنار اليهود، لكن رحلَ « منظر اللّه» بمعنى صعَد المسيح إلى السموات. لكن إسرائيل لم يتخلص تمامًا من العرج. لأنه لم يخلص بالكامل، إذ لا زال يتألم بسبب أولئك الذين لم يؤمنوا بعد، هكذا لم ينتصب الجميع. حسنًا لقد دُعيَ يعقوب إسرائيل أي الذي له «عقل يرى اللّه». وبعد ذلك، ماذا حدث؟ «وأما يعقوب فإرتحل إلى سكوت. وبنى لنفسه بيتًا وصنَع لمواشيه مظلات. لذلك دُعي اسم المكان سكوت» (تك٣٣:١٧). أسمعت لقد سكَن في خيام؟ يمكن أيضًا هذا يعني أن ذهن إسرائيل رجَع تجاه المكان الأفضل. لأنه عندما نصَب خيامًا، سكَن فيها. فالعقل الذي يرى الأمور السامية ويصير جديرًا بظهورات اللّه، والذي يتقدم إلى الكمال ببذل الجهد، يصير له من عند اللّه ثمرة ثمينة: أن أمور هذا العالم لا يحسب لها حساب إطلاقًا معتبرًا أن الحياة في الجسد مؤقتة. إذن هذا هو العقل الذي يليق بالقديسين ورسالة التعاليم السماوية العظيمة والواضحة. سوف تقتنع بهذا الأمر من داود الطوباوي

الذي وصَل إلى مثل هذا المستوى من التقدم « لا تسكت دموعي. لأني أنا غريب عندك. نزيل مثل جميع آبائي» (مز١٢:٣٨). أيضًا يكتب بولس الرسول لهؤلاء الذين وصلوا إلى قياس الكمال، «قياس قامة ملء المسيح» (انظر أفسس١٣:٤): «لأن ليس لنا هنا مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة. الذي صانعها وبارئها هو اللّه» (عب١٣ :١٤). إذن كون يعقوب العظيم، أي إسرائيل، يسكن في خيام، سيصير علامة، لكل الذين يفكرون بالصواب بأنه ينبغي لأولئك الذين لديهم بالفعل أعين متجهة نحو اللّه وعقل مستنير أن يعتبروا أن أمور هذا العالم مؤقتة.

بعد ذلك « أَتى يعقوب سالمًا إلى مدينة شكيم» (تك١٨:٣٣) الموجودة في أرض كنعان حيث جُرب أيضًا البار مواجهًا مظالم تجاه أبنته دينا. إذ أنها خرجت هذه الشابة العذراء من خيمة أبيها لترى بنات هذه الأرض. ولأن الجنس الأنثوي مندفع ولا يخاف ويُسرع ليتعرف ويحب مَنْ هم في عمره. هكذا خرجت الشابة ورآها شكيم ابن حمور وإغتصبها عنوةً، بمعنى أفقدها عذريتها، وتملَّكت عليه الشهوة فأراد أن يتزوجها. عندئذ إحتد غضب كل من شمعون ولاوي بسبب ما صار لأختهما وإعتبراً هذا الأمر إهانة لهم فشرعا في أعمال دنسة ضد أولئك الذين إرتكبوا الجُرم، أقنعا سكان شكيم بأن يختتنوا كل ذكر، وقتلوهم بدون رحمة ورأفة وبدون أي إستثناء. وقد غضب يعقوب غضبًا شديدًا لما حدث وأخذ يوبخهما قائلاً: «كدرتماني بتكريهكما إياي عند سكان الأرض» (تك ٣٤ :٣٠). هذا الموقف يذكرنا بأن المخلص نفسه أنبأ بطرس الذي أخرج سيفه من غمده، وقال له: «لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون» (مت ٢٦ :٥٢).

القديس كيرلس الإسكندري

لا ينبغي أن نتسلح بسيوف ضد الأعداء، نحن الذين أخترنا أن نجاهد من أجلِ إيماننا باللّه. على النقيض ينبغي علينا أن نتحمل الآلام للدرجة التي فيها إذا أراد البعض أن يطردنا، فإننا نباركهم عندما يسيئون إلينا، عندما نتألم لا نجازي الشر بالشر بل نُسلم أنفسنا لذاك الذي يحكم بالعدل. أيضًا نحترس من هؤلاء الذين لهم إيمان آخر، لأنه عندما خرجت دينا من المسكن الأبوي إبتعدت ووُجدت هناك عند بيت شكيم. لكن ما كان لها أن تُهان لو بقيت في بيت أبيها وعاشت داخل خيمة القديسين. إن هذا الأمر هو حسن ومفيد، ويقنعنا بهذا داود الطوباوي والمرنم حين قال:«واحدة سألت الرب وإياها ألتمس: أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي لكي انظر إلى جمال الرب وأتفرس في هيكله. لأنه يخبئني في مظلته في يوم الشر يُسترني بستر خيمته. على صخرة يرفعني» (مز٢٦ :٤–٥) .

والأمر حدث كالآتي: «ثُمَّ قَالَ اللّهُ لِيَعْقُوبَ: »قُمِ اصْعَدْ إِلَى بَيْتَ إِيلَ وَأَقِمْ هُنَاكَ، وَاصْنَعْ هُنَاكَ مَذْبَحًا للّهِ الَّذِي ظَهَرَ لَكَ حِينَ هَرَبْتَ مِنْ وَجْهِ عِيسُو أَخِيكَ». فَقَالَ يَعْقُوبُ لِبَيْتِهِ وَلِكُلِّ مَنْ كَانَ مَعَهُ: «اعْزِلُوا الآلِهَةَ الْغَرِيبَةَ الَّتِي بَيْنَكُمْ وَتَطَهَّرُوا وَأَبْدِلُوا ثِيَابَكُمْ. وَلْنَقُمْ وَنَصْعَدْ إِلَى بَيْتِ إِيلَ، فَأَصْنَعَ هُنَاكَ مَذْبَحًا للّهِ الَّذِي اسْتَجَابَ لِي فِي يَوْمِ ضِيقَتِي، وَكَانَ مَعِي فِي الطَّرِيقِ الَّذِي ذَهَبْتُ فِيهِ». فَأَعْطَوْا يَعْقُوبَ كُلَّ الآلِهَةِ الْغَرِيبَةِ الَّتِي فِي أَيْدِيهِمْ وَالأَقْرَاطَ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ، فَطَمَرَهَا يَعْقُوبُ تَحْتَ الْبُطْمَةِ الَّتِي عِنْدَ شَكِيمَ. ثُمَّ رَحَلُوا، وَكَانَ خَوْفُ اللّهِ عَلَى الْمُدُنِ الَّتِي حَوْلَهُمْ، فَلَمْ يَسْعَوْا وَرَاءَ بَنِي يَعْقُوبَ».(تك٣٥ :١–٥) . لقد دعا إله الجميع يعقوب البار أن يذهب من شكيم إلى بيت إيل. وهو أطاع بعد ذلك عندما وصل إلى لوز ورأى اللّه وتيقن بالوعود أن سيصير أبًا لأمم كثيرة: « ثم صعد اللّه عنه في المكان الذي فيه تكلم معه. فنصب يعقوب عمودًا في المكان الذي فيه تكلم معه عمودًا من حجر، وسكب عليه سكيبًا وصب عليه زيتًا. ودعا يعقوب إسم المكان الذي فيه تكلم اللّه معه بيت إيل» (تك٣٥ :١٣–١٥).

حوادث كثيرة ـ مثل تلك التي ذكرناها ـ برهنت على أن يعقوب رجع إلى أرض إسرائيل وفضَّل أن يكون في حالة أفضل. لقد سكن في خيام مظهرًا بهذا أن القديسين يقيمون في العالم بصفة مؤقتة. عندما عَلم بالأمور التي حدثت لإبنته وحزن جدًا لحدوث التصرفات التي فعلها بخساسة كل من شمعون ولاوي وهما في حالة غضب، وجَّه لهما كلامًا لاذعًا نستنتج منه أن ما يتناسب مع القديسين هو التسامح والصبر في التجارب. إذن عندما دعاه اللّه ليصعد إلى بيت إيل أي إلى مسكن اللّه (لأن هذا هو معنى إسمه بيت إيل) وصلى إلى اللّه مبيّنًا لنا مدى حُبه للحياة السرائرية. لكن بأي طريقة ـ إذن ـ نذهب إلى بيت اللّه، نعرف هذا الأمر مما فعله يعقوب كالآتي: أمَّر أن يبعدوا الآلهة الغريبة الدنسة، وأن يغيروا ملابسهم، الأمر الذي نعتاد أن نفعله عندما نكون مدعوين بأن نرى اللّه وندخل إلى هيكله المقدس بالحري وقت المعمودية المقدسة. لأنه ينبغي علينا أن نُخرج من داخلنا الآلهة الغريبة ونكون بعيدين عن أي ضلال، ونقول: « أجحدك أيها الشيطان وكل أعمالك وكل عباداتك». ينبغي علينا أن نُغيَّر ملبسنا خالعين الإنسان العتيق، هذا الذي فسد بشهوات الضلال، ونلبس الجديد الذي يتجدد وفق صورة ذاك الذي خلقه (انظر كولوسي ٣ :١٠). أيضًا خلعن الأقراط التي في آذانهن، هكذا دخلت النساء اللاتي كُن مع يعقوب إلى بيت اللّه بدون أن يكون لديهن أي زينة جسدية، حللن أيضًا شعورهُن، محررين هكذا رؤوسهن من أي تعقيدات مجدولة في شعورهُن تشير إلى إرتكاب جرائم.

إذن عندما نصعد إلى بيت إيل، أي إلى بيت اللّه نطرح عنا ـ مثلما فعل النساء ـ أي زينة لكي نتعرف على الحجر المختار الموضوع في رأس الزاوية، أقصد المسيح (انظر مت٢١ :٤٢). وسوف نراه يُمسح من الآب لبهجة وفرح كل الأرض. لأنه ـ كما قُلت ـ مُسح الابن بواسطة أبيه «من أجل ذلك مسحك اللّه إلهك بدهن الإبتهاج أكثر من رفقائك» (مز٤٤ :٨)، بحسب قول المرنم. يمكنك أن ترى هذا ـ بطريقة رمزية وتصويرية ـ في القراءات التي قُرئت علينا منذ قليل، لأنه يقول: « نصب يعقوب حجرًا ومسحة بزيت وخمر». حسنًا، هذا الذي حدث كان مثالاً لسرّ المسيح الذي له المجد مع الآب والروح القدس إلى أبد الآبدين آمين . ■

الإحتفال برأس السنة ـ للمغبوط أغسطينوس

على الرغم من مُضي القرون بيننا وبين عصر البار أغسطينوس الذي ولد في القرن الرابع ميلادي إلا أننا إلى الآن نعاني من نفس المشكلة التي يعالجها وهي الإحتفال برأس السنة بأسلوب غير مسيحي والتقليد غير الواعي للبعض منّا للمجتمعات العالمية في طريقة احتفالهم.

١) أيها الأحباء إذ أراكم اليوم وقد تجمّعتم معاً كما لعيد جليل وجئتم بأعداد كبيرة أكثر من المعتاد، فإنّني أخاطب الإخلاصَ الذي فيكم أن تتذكّروا ما ترنمتم به توّاً حتى لا يكون صوتكم مُدوياً بينما قلبكم صامتاً. ولكن بالأولى أن ما لفظ به لسانكم ـ في أذان بعضكم البعض ـ يصل إلى أذنَيّ الرب. وهذا ما ترنمتم به «خلِّصنا أيها الرب إلهنا واجمعنا من بين الأمم لنعترف باسمك القدّوس ونفتخر بتسبحتك» (مز ١٠٥:٤٧).

الآن وفي هذا العيد يحتفل الوثنيون اليوم بفرح العالم وبفرح الجسد ، **متغنّين فيه بأغانٍ رديئة لا معنى لها** ، يقيمون الولائم ويرقصون الرقصات المُخزيّة. فإذا لم تسعدكم هذه الإحتفالات الخاطئة التي للوثنيين فسيجمعكم الرب من بين الأمم.

٢) نعم بالفعل لقد ترنّمتم بهذا المزمور وصداه لا يزال في أذاننا «خلِّصنا أيها الرب إلهنا واجمعنا من بين الأمم لنعترف باسمك القدّوس ونفتخر بتسبحتك» (مز ١٠٥:٤٧). مَنْ الذي يمكن أن يُجمَع من بين الأمم دون أن يَخلُص ؟ إذن فهؤلاء هم الذين يُجمعون من بينهم في خلاص الإيمان ، خلاص الروح، وخلاص الوعود الإلهيّة.

ولكن ، فإنّ هؤلاء ـ الذين لديهم إيمان ورجاء ومحبة ـ لا يجب أن يتّكلوا على ذلك متأكدين من خلاصهم ، لأن ما يهم هو بماذا يؤمنون ويرجون وماذا يحبون؟ لأنه ليس أحد من الأحياء ـ بأي شكل من أشكال الحياة ـ يعيش دون هذه الحركات الثلاث التي للنفس ألا وهي: الإيمان والرجاء والمحبة. فإن لم تؤمنوا بما يؤمن به الوثنيون ، إن لم ترجوا ما يرجونه ، إن لم تحبوا ما يحبونه ، إذن فقد جُمعتُم من بين الوثنيين ، لقد بَعدتّم عنهم ، أي انفصلتم عن الأمم.

لا تدعوا اشتراككم المادي معهم في الحياة يُزعجكم طالما انفصلتم عنهم بالعقل. لأنه أي اختلاف أكثر يمكن أن يكون بيننا وبينهم؟

هم يؤمنون بالشياطين كآلهة بينما أنتم تؤمنون بذاك الذي هو اللّه الواحد الحقيقي.

هم أيضاً يرجون أباطيل هذا العمر الفاني بينما أنتم ترجون الحياة الأبديّة مع المسيح.

هم يحبون هذا العالم ولكن أنتم تحبون خالق هذا العالم؟

إذن فليقم كل من يؤمن ، ويرجو ، ويحب أشياء غير التي لهؤلاء بإثبات هذا بحياته وليظهره بأعماله. هل ستشتركون في احتفالات العام الجديد؟ هل ستكون كالوثني **تلعب الزهر والنرد والقمار وتسكر**، بينما أنتَ آمنت، ورجوت، وأحببت شيئاً خلاف ذلك؟ كيف لك بعد ذلك أن تترنّم بجرأة: «خلِّصنا أيها الرب إلهنا واجمعنا من بين الأمم لنعترف باسمك القدّوس ونفتخر بتسبحتك» (مز ١٠٥:٤٧).

أنتم منفصلون عن الوثنيين (روحيّاً) ، على الرغم من اختلاطكم معهم بالجسد فأنتم مُختلفون عنهم في طريقة حياتكم. انظروا كيف أنَّ هذا الفرق واضح. فقط إن جعلتموه أنتم هكذا وبرهنتم على ذلك. لأن إلهنا يسوع المسيح ابن اللّه الذي تجسّد من أجلنا قد دفع ثمناً لأجلنا. أعطى ذاته ثمناً وفعل ذلك لهذا القصد، لكي يفدينا ويفصلنا عن الوثنيين. ولكن إن أردتم أن تخالطوا الوثنيين فأنتم لا تريدون أن تتبعوا ذاك الذي اشتراكم. وأضف إلى ذلك أنَّ اختلاطكم مع الوثنيين في حياتكم ، وأعمالكم ، وقلبكم ، من خلال إيمانكم، ورجائكم وحبكم لها لهم، يجعلكم ناكرين لمشتريكم غير مقدّرين الثمن الذي به اَشتُريتم ألا وهو **دم الحمل الذي بلا عيب**. إذن لكي تتبعوا فاديكم الذي أعاد شراءكم بدمه لا تختلطوا مع الوثنيين بتقليدكم عاداتهم وأعمالهم ، عندما يعطون الهدايا أعطوا أنتم صدقة. هم يضللهم التغني بالحريّة أمَّا أنتم فتتبعون كلام الكتاب المقدّس، هم يهرعون إلى المسارح أما أنتم فللكنيسة، هم يشربون ويسكرون أمَّا أنتم فتصومون. إن لم يكن في استطاعتكم الصوم فعلى الأقل ليكن طعامك باعتدال، فإن تصرفتم هكذا أصبح صحيحاً ترديدكم: «خلِّصنا أيها الرب إلهنا واجمعنا من بين الأمم لنعترف باسمك القدّوس ونفتخر بتسبحتك» (مز ١٠٥:٤٧).

٣) كثيرٌ منكم الآن سَيحدُث داخل قلبه صراعٌ من الكلمة التي سمعتموها لأنني قلت: «لا تعطوا هدايا ولكن أعطوا الفقراء» ولكن لا يكفي أن تعطوا فحسب بل أن تعطوا بسخاء... لا تريدون أن تعطوا أكثر؟! حسناً ولكن فلتعطوا. ولكنكم تعترضون قائلين: «عندما أعطي هدية السنة الجديدة فكأنما أُعطي لنفسي هدية» ماذا إذن؟ ألا تأخذون شيئاً عندما تعطون الفقراء ؟ ولكن بالتأكيد تعطون أنتم لا تؤمنون بما يؤمن به الوثنيون أو ترجون ما يرجونه. ولكن إن قلتم إنكم لا تحصلون على شيء عندما تعطون الفقراء فقد أصبحتم

لأنّك بكلامك تتبرّر وبكلامك تُدان (متى ١٢:٣٧)

في مواضع كثيرة من الكتاب المقدّس في العهدين القديم والجديد ، آيات بدائع في وصف اللسان الصالح وما يؤتي من المنافع ، واللسان الشرّير وما يجرّ من المضار. قال سفر الأمثال: «لسان الصدّيق فضّة منتقاة» وقالت:« ربّ ذي هذر كضارب السيف وألسنة الحكماء شفآء. شفة الحقّ تَثبُت إلى الأبد ، ولسان الزور إنّما هو إلى لمحة». وقالت: «الجواب اللين يرد الحنق والكلام المؤلم يثير الغضب. ألسنة الحكمآء تجود بالعلم وأفواه الجهّال تفيض بالسَّفه.» وقال **إبن سيراخ**: « ضربة السَوط تبقي حَبَطا (أثر الجرح بعد برئها) وضربة اللسان تحطّم العظام. كثيرون سقطوا بحدّ السيف لكنّهم ليسوا كالساقطين بحدّ اللسان». وقال **القديس يعقوب الرسول**: « ها إنّ السُفن العظيمة التي تدفعها رياح عاصفة تديرها دفّة صغيرة إلى حيث يقتضي عزم المدبّر. كذلك اللسان نارٌ وعالمٌ من الإثم . . . هو شرٌّ لا ينضبط مملوءٌ سمّاً مميتاً».

وللعرب من جوامع الكلام نظماً ونثراً في وصف اللسان وحسناته وسيّئاته ، أقوالٌ بليغة نكتفي بذكر شيءٍ يسير من تلك الحسنات والسيّئات. فمن حسناته أنّه لما إنهزَم عبداللّه بن عليٍ من الشّام ،قَدمَ على أبي جعفر المنصور الخليفة العبّاسيّ وفدٌ من أهل الشّام. فقامَ رجلٌ منهم يُدعى الحارث وقال:

أيها الوالي: إنّا لَسنا وفد مباهاة وإنّما نحنُ وفد **توبة** ، إبتلينا بفتنة إستخفّت كريمنا، واستفزّت حليمنا، ونحن بما قدّمنا معترفون، ومما سَلف منّا معتذرون فإن تُعاقبنا فقد أجرمنا ، وإن تعفُ عنّا فطالما أحسَنتَ إلى مَن أسآءَ منّا. فقال المنصور للحرس: هذا خطيبهم! وأمر بردّ ضياعه عليه في الغوطة.

وأُحضرَ إلى المعتصم العبّاسي رجلٌ من الخوارج (الثائرين) يُدعى تميم بن جميل ، فأمَرَ الخليفة بالنِّطع والسيف: (النطع: هو بساطٌ من جلد يُفرَشُ تحت المحكوم عليهم بالعذاب أو بقطع الرأس) . فجعَلَ تميم ينظر إليهما ولا يقول شيئاً وجعَل المعتصم يُصَعِّد النظر فيه ويصوبه وكان جسيماً وسيماً ، فرأى الخليفة أن يستنطقه لينظر أين جنانه ولسانه من منظره فقال: يا تميم إن كان لكَ عُذرٌ فائت به أو حجّة فأدلِ بها. فقال:

ـ إنّ الذنوب تخرس الألسنة ، وتصدع الأفئدة ، ولقد عَظُمَت الجريرة ، وكَبُرَ الذنب ، وسآء الظنّ ، ولم يبقَ إلاّ عفوك أو إنتقامك وأرجو أن يكون أقربهما منك وأسرعهما إليكَ أولاهما بفضلكَ وأشبههما بخلافتك. ثمّ أنشدَ يقول:

أرى الموت بين السِّيف والنِّطع كامناً ... يلاحظني من حيثُ أتَلَفَّتُ

وأكبَرُ ظنّي أنَّكَ اليوم قاتلي ... وأيُّ امرىءٍ مما قضى اللّه يفلتُ

ومن ذا الذي يُدلي بعُذرٍ وحجّةٍ ... وسيفُ المنايا بين عينيه مُصلَتُ

وما جزعي من أن أموت وإنّني ... لأعلم أنَّ الموت شيءٌ مؤقّتُ

ولكن خَلفي صِبْيةً قد تركتهم ... وأكبادهم من حسرة تَتَفَتَّتُ

كأنّي أراهم حين أُنْعَى إليهم ... وقد خَمشوا تلك الوجوهَ وَصَوَّتوا

فإن عشتُ عاشوا خافضين بغبطةٍ ... أذود الردى عنهم وإن متُّ مُوِّتوا

فتبسّمَ المعتصم وقال: **كادَ** يا تميم يسبق السيف العذل. إذهب فقد غَفَرتُ لكَ الصَّبوة وَتَركتُكَ للصبية. (الصَّبوة:جهلة الصبيان)

فإذا كان أولئك الولاة القساة والطغاة ، غفروا للعصاة بعد توبتهم:

فهل من أدنى شكّ للتائب الحيران ، نواله الصفح والغفران ، من المسيح المحب الكثير الإحسان ؟!

كالوثنيين وصار بلا حقّ ترنيمكم: «خلِّصنا أيها الرب إلهنا واجمعنا من بين الأمم لنعترف باسمك القدّوس ونفتخر بتسبحتك» (مز ١٠٥:٤٧). لا تصيروا غير فاهمين لهذه الآية التي تقول: «مَن يعطي الفقير لا يحتاج» (أم٢٨:٢٧). أنسيتم ما سيقوله الرب لهؤلاء الذين أعطوا صدقة للفقراء: «تعالوا إليَّ يا مباركي أبي، رثوا الملكوت» (مت٢٥:٣٤)،وماذا سيقول لهؤلاء الذين لم يعطوا الصدقة: «إلقوهم في النار الأبديّة» (مت٢٥:٤١). هنا وفي هذه اللحظة هل يقف هؤلاء الذين سمعوا الكلمة بفرح مع الذين لم يتقبّلوها بسرور ؟ أصغوا باهتمام للرسول عندما يحذّرنا بقوة: «لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين لأن أيَّة خلطة للبر مع الأثم؟ وأي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن؟ وأيّة موافقة لهيكل اللّه مع الأوثان؟» (٢كو ٦:١٤-١٦).

وفي موضع آخر يقول: «بل إنَّ ما يذبحه الأمم فإنما يذبحونه للشياطين لا للّه، فلستُ أريد أن تكونوا أنتم شركاء الشياطين» (١كو١٠:٢٠).

إنّ عادات الوثنيين تُسرّ آلهتهم ولكن الذي قال: «لستُ أريد أن تكونوا أنتم شركاء الشياطين» تمنّى أن ينفصل مَن يسمعونه في طريقة حياتهم ومبادئهم (أخلاقهم) عن هؤلاء الذين خدموا الشياطين. **لأن الشياطين تفرح بالأغاني الخادعة ، والعروض التي بلا قيمة ، التلوّث المتنوّع الذي في المسارح ، وبجنون الألعاب، والوحشيّة التي في ساحات الألعاب ، وبالمناقشات العنيفة لهؤلاء الذين يأخذون على عاتقهم النزاع والجدال ويثيرون الخصومات في تأييدهم لشخصيات رديئة مثل ممثل العروض الصامتة أو المسرحيات أو العروض الموسيقية ... وهم بتصرفهم بهذه الطريقة فكأنما يُبخّرون للشياطين في قلوبهم ، لأن هذه الأرواح الخادعة (الشياطين) تبتهج بالأغراءات، وقُوّتُهُم في هذه العادات الشريرة والحياة الواضحة السوء التي لهؤلاء الذين خدعوهم وأوقعوهم في أشراكهم.**

ولكن أنتم. كما يقول الرسول: «**.. لم تتعلموا المسيح هكذا، إن كنتم قد سمعتموه وعُلِّمتم فيه كما هو حقّ في يسوع. فلا تكونوا شركائهم، لأنكم كنتم قبلاً ظلمة وأما الآن فنور في الربّ، أسلكوا كأولاد نور**» (أف٤:٢٠-٢١ ، ٥:٧-٩).

لكيما نحن أيضاً الذين نبشركم بكلمة الرب نفرح معكم ولأجلكم في النور الأبدي. آمين ■

من أقوال القديس جيروم

مع أن الباب كان مغلقا، دخل يسوع إلى مريم، القبر الجديد المنحوت في صخر، الذي لم يرقد أحد فيه من قبله ولا بعده، أنها جنة مغلقة، ينبوع مختوم «نش٤:١٢».

عيد الختان . ختانة الرب يسوع
للقديس كيرلس الإسكندري

«ولما تمت ثمانية أيام ليُختن الصبي، سُمّي يسوع كما سمّاه الملاك قبل أن يُحبل به في البطن. وكان الصبي ينمو ويتقوى بالروح، ممتلئاً حكمة، وكانت نعمة اللّه عليه. وكان أبواه يذهبان إلى أورشليم كل سنة في عيد الفصح. فلما بلغ اثنتي عشرة سنة، صعدا إلى أورشليم كعادة العيد. ولما أتما الأيام، بقي عند رجوعهما الصبي يسوع في أورشليم، ويوسف وأمه لا يعلمان. وإذ كانا يظنان أنه مع الرفقة، سافرا مسيرة يوم، وكانا يطلبانه بين الأقارب والمعارف. وإذ لم يجداه، رجعا إلى أورشليم يطلبانه. وبعد ثلاثة أيام، وجداه في الهيكل، جالسا فيما بين المعلمين يسمعهم ويسألهم، وكان جميع الذين يسمعونه مندهشين من فهمه وأجوبته. فلما نظراه بُهتا. فقالت له أمه: يا ابني، لم صنعت بنا هكذا؟ ها إننا أنا وأباك كنا نطلبك متوجعين! فقال لهما: لماذا تطلباني؟ ألم تعلما أنه ينبغي لي أن أكون في ما هو لأبي؟ فلم يفهما الكلام الذي قاله لهما. ثم نزل معهما وأتى الناصرة، وكان خاضعاً لهما. وكانت أمه تحفظ ذلك الكلام كله في قلبها. وأما يسوع، فكان يتقدم في الحكمة والسن والنعمة عند اللّه والناس. (لو٢: ٢١، ٤٠-٥٢).

«ولما تمت ثمانية أيام ليُختن الصبي، سمّي يسوع كما سماه الملاك قبل أن يُحبل به في البطن» (لو٢: ٢١).

أرى الجمع غفيراً، والحضور مصغياً إليّ أنا المعلم الفقير. لكنني متكل على الذي وهب الإنسان فماً ولساناً، أن يهبني أفكاراً صالحة، هو القائل: «افتح فمك فأملأه» (مز٨١: ١٠). لقد جئتم بفرح إلى مثل هذا الاحتفال بالرب، فلنحمل مشاعلنا ببهجة ولنتأمل بوقار ما قد تممه الرب في هذا اليوم، مما يوطدنا في الإيمان والتقوى.

بالأمس القريب، رأينا عمانوئيل طفلاً في المذود ملفوفا في الأقمطة بطريقة بشرية، لكن مسبّحاً كإله من الملائكة القديسين الذين أعلنوا للرعاة عن ولادته. لقد منح اللّه الآب امتيازاً خاصاً لساكني السماء، ليكونوا المبشرين الأوائل. وقد رأيناه اليوم مطيعاً لأوامر موسى، أو بالأحرى رأيناه، هو اللّه الذي سن الشريعة، يخضع لأوامره الخاصة. والسبب في ذلك، ما أخبرنا إياه بولس : «لما كنا قاصرين، كنا مستبعدين تحت أركان العالم، لكن لما جاء ملءُ الزمان، أرسل اللّه ابنه مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس، ليفتدي الذين تحت الناموس، لننال التبني» (غلا٤: ٣-٤) هكذا، فإن المسيح قد افتدى من لعنة الناموس أولئك الذين كانوا خاضعين للناموس، غير قادرين على حفظ أوامره.

بأية طريقة افتدانا؟ عندما أتم أوامر الناموس بنفسه. بتعبير آخر، من أجل أن يكفّر عن خطايا آدم، أظهر نفسه طائعاً، خاضعاً للّه الآب في كل شي. لأنه مكتوب: «كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطأه، هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيجعل الكثيرون أبراراً» (رو٥: ١٩).

إذاً، أحنى عنقه للناموس بمعيّتنا، لأن خطة الخلاص هكذا اقتضت، ولأنه كان ينبغي له أن يتمّم كل برّ. لقد اتخذ صورة عبد، واضعاً نفسه تحت نير الطبيعة البشرية، ودافعاً الجزية لجباة الضريبة، مع كونه ابناً للّه، غير ملزم بذلك. فلا تتعجبوا إذا ما رأيتموه يتمم أوامر الناموس، ولا تصنفوه مع العبيد، بل بالأحرى تأملوا **عمق تدبير الخلاص**.

«في اليوم الثامن»، يوم ختانة الصبي حسب أوامر الناموس، أخذ اسمه (يسوع)، الذي يعني (خلاص الشعب). هكذا أراد اللّه الآب أن يدعو ابنه عندما وُلد بالجسد من امرأة. عندها صار بصورة خاصة مخلّص العالم، كل العالم، كل الأمم. اقتبل اسمه في يوم ختانه. إلى أية أسرار يقودنا هذا الحدث؟ قال بولس الرسول: «ليس الختان شيئاً، ولا القَلَف» (١كور٧: ١٩). ورُبَّ معترض: أيعقل أن يكون إله الكل قد سنّ، عن طريق موسى، وصية لا قيمة لها؟ بل أيعقل أن يعاقب الذي يتخطّاها؟ نعم، إن الختانة (نزع قطعة من الجسد) لا تعني بحدّ ذاتها شيئاً، لكنها تشكل رمزاً كبيراً للسرّ، أو بالأحرى هي ظاهرةٌ تكشف عن حقيقة خفيّة ؛ لأن المسيح في اليوم الثامن قام من الموت، ومنحنا الختانة الروحية، معطياً الوصية التالية للرسل:«اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (مت٢٨: ١٩). لذلك الختانة الروحية تتحقق بشكل خاص في أوان المعمودية المقدسة، إذ يجعلنا المسيح شركاء في الروح القدس. الغاية إذاً ليست في تطهير الجسد، بل في تطهير النفس. إذاً في اليوم الثامن خُتن المسيح، واقتبل اسمه. بذلك **أتانا الخلاص**(١).

«وبه أيضا ختنتم ختاناً غير مصنوع بيد، بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح، مدفونين معه في المعمودية التي فيها أقمتم أيضاً معه» (كولوسي ٢: ١١-١٢). موته كان إذا من أجلنا، وكذلك قيامته وختانته. لأنه يقول أيضاً: «إن كنا قد متنا معه، فسنحيا أيضاً معه» (٢تيمو٢: ١١). إن متنا معه عن الخطيئة، لا نعود نخطئ من بعد. لقد مات هو عن الخطيئة، لا لأنه خطئ «الذي لم يفعل خطيئة، ولا وجد في فمه مكرٌ» (١بط٢: ٢٢). عندما حل الابن بيننا، على

الرغم من كونه إلهاً، لم يحتقر قياسنا، بل خضع للناموس مرافقاً إيانا. فخُتن في اليوم الثامن كما يختن اليهود، وهو الذي وضع الناموس، ليبرهن عن مجيئه من صلبهم، لعلهم لا ينكرونه. ومع أنه جاء من نسل داوود، قالوا عنه: «وأما هذا فما نعلم من أين هو» (يو٩:٢٩). لذلك، اختتن بالجسد لكي لا يترك لهم عذراً في نكرانهم إياه. بعد الختانة جاءت المعمودية، السرّ الذي به نتمم جوهر الختان، والذي يُغنينا عن الختان، لأن الحقيقة تُغني عن الرمز. إذاً ختانة الرب يسوع أتمت الأهداف التالية:

١) ميّزت نسل إبراهيم بهذه العلامة التي تميز شعب اللّه عن الأمم.

٢) رمزت إلى سر المعمودية الإلهي. في العهد القديم كانت الختانة علامة تميز شعب اللّه عن غيره. الآن معمودية المسيح تميز عائلة اللّه بالبنوة.

٣) رمزت إلى المؤمن الذي، بمؤازرة النعمة، يقطع ثورات اللذات الجسدية والأهواء، بنهضة الإيمان والأعمال الجهادية، لا قاطعاً جزءاً من الجسد، بل مطهراً القلب بختانة الروح لا الحرف. هذا يكون مدحه لا من فم بشري، بل من فوق، من اللّه (رو٢:٢٩).

«وكان الصبي ينمو ويتقوى بالروح، ممتلئاً حكمة، وكانت نعمة اللّه عليه» (لو٢:٤٠). يشير إلى طبيعته الإنسانية، أرجو منك أن تلاحظ عمق التنازل: يرضخ الكلمة لنواميس الولادة البشرية، وهو ذو الطبيعة الإلهية غير المبدوءة، وغير الخاضعة للزمن. يخضع لنمو جسدي، وهو اللّه الكامل. غير ذي جسد، يتخذ أعضاء محسوسة، تنمو وتكبر، إلى سن البلوغ. يمتلئ حكمة وهو الحكمة كلها. ماذا نقول بعد؟! هو الذي كان في شبه الآب، قد صار في شبهنا: الغني في فقر، المتعالي في تواضع. جعل نفسه يحتاج ويفتقر، هو اللّه الكامل الممتلئ من كل شيء. إلى هذا الحد أفرغ ذاته. كل ما كُتبَ عنه كإنسان يشهد لمثل هذا الإفراغ. لقد كان من المستحيل للكلمة المولود من الآب أن يتقبل مثل هذا في طبيعته الخاصة. لكن، عندما أصبح جسداً على شبهنا، ولد من اللحم، من امرأة، وخضع لكل ما يختص بالوضع البشري. كان باستطاعته الكلمة، كإله، أن يجعل جسده ينبثق مباشرة من البطن على قياس الإنسان الكامل، لكنه سمح للقوى الطبيعية البشرية، بما فيها من عادات وقوانين، أن تتحكم بجسده الخاص. لذلك، لا تتعجبوا كيف أن اللّه «ينمو»، كيف أن الذي يمنح نعمة للملائكة والبشر يتقبّل حكمة جديدة. تفكروا بالأحرى بما يلزم من كثير حذق لدخول هذا السرّ.

إن الإنجيلي الحكيم لوقا، لم يقدم الكلمة في تنزّهه وطبيعته غير المتجسمة عندما قال أنه ينمو ويتقوى بالروح والحكمة والنعمة، بل أظهر أولاً ولادته من جسد امرأة واتخاذه طبيعتنا، ثم نسب إليه أوصافاً بشرية، فدعاه صبياً، وقال إنه يتقوى بالروح وينمو جسده بحسب نواميس الطبيعة الجسدية. ويضيف أنه ينمو بالحكمة، لا بمعنى أنه يكتسب قسطاً أكبر من الحكمة ـ لأن اللّه كامل في كل شيء، ولا يمكن أن يتجرد من أية صفة من صفات ألوهته ـ بل بمعنى أن اللّه الكلمة يكشف تدريجياً عن حكمته، وفقاً لعمر الجسد المأخوذ. فالجسد يتقدم بالقامة، والنفس (البشرية) تتقدم بالحكمة، أما الطبيعة الإلهية فلا تخضع لنمو، كون اللّه كاملاً. من هنا، نفهم ربط تقدم الحكمة بنمو القامة الجسدية، لأن الطبيعة الإلهية تكشف عن حكمتها الخاصة بالنسبة إلى قياس النمو الجسدي.

«فلما بلغ اثنتي عشرة سنة، صعدا إلى أورشليم كعادة العيد ...» (لو٢:٤٢...) ، بعد أن ذكر الإنجيلي أنه كان يتقدم في الحكمة والنعمة مع اللّه والناس، راح يسرد وقائع تبين صحة أقواله: ذهب يسوع، في العيد، إلى أورشليم، مع أمه العذراء القديسة، بقي في أورشليم، فوجدوه بعد ذلك في الهيكل جالساً وسط العلماء يسأل ويجيب عن الأسئلة التي تخص بكل ما جاء في الناموس، تعجب الكل من فهمه وأجوبته. بهذا يتبين بوضوح كيف كان يتقدم في الحكمة والنعمة، بقدر ما أصبح معروفاً من هو.

«فقالت له أمه: يا ابني، لم صنعت بنا هكذا؟ ها إننا أنا وأباك كنا نطلبك متوجعين!» (لو٢:٤٨). كانت أمه، بالطبع، تعلم أنه ليس ابن يوسف، ومع ذلك عاتبته بهذا الشكل، لكي تبعد شكوك اليهود، فأجابها المخلص: «لماذا تطلباني؟ ألم تعلما أنه ينبغي لي أن أكون في ما هو لأبي؟» (لو٢:٤٩). مقدماً إيضاحاً أكبر على من هو ومن أبوه. هنا تكمن ألوهته. فعندما سألته أمه: « يا بُنيّ، لم صنعت بنا هكذا؟» أجاب للوقت مظهراً نفسه أسمى من قياس الأمور البشرية، معلماً إياها أنها كانت مجرد واسطة للتدبير الإلهي، بولادته بالجسد، هو الإله بالطبيعة وبالحق، وابن اللّه الذي في السموات. لذا قال: «ألم تعلما أنه ينبغي لي أن أكون في ما هو لأبي؟». ■

---

١): الخلاص تمّ على الصليب ، فبات دم المسيح هو العلامة التي تربطنا باللّه ، فلم نعد بحاجة إلى دم الختان الذي كان في القديم علامة العهد مع اللّه.

تعلق الناس بالحياة الدنيا

«لا تحبّوا العالم ولا الأشياء التي في العالم . إن أحبَّ أحدٌ العالم فليست فيه محبّة الآب . لأنّ كُلّ ما في العالم شهوةَ الجسد وشهوة العيون وتعظّم المعيشة ليس من الآب بل من العالمَ . والعالم يَمضي وشهوتهُ وأمّا الذي يصنع مشيئةَ اللّه فيثبت إلى الأبد» (١يو٢ : ١٥-١٧)

فأشقياء الناس لا يسأمونها ولا يسأمون أن يُغرّقوا أنفسهم في ملذّاتها ومتاعها ، ولو فوّت ذلك عليهم أداء حقوق اللّه التي خُلقوا لأجلها وتجاهلوا الفداء الذي أتمّه المسيح من أجلهم على عوَد الصليب، على أنهم فيها عراة وجوَّعٌ ، وإنّها وإن كانت تسرّ حيناً فإنّها سحابة صيف عن قليل تمضي وتزول.

أرى أشقياء الناس لا يسأمونها ... على أنّهم فيها عراةٌ وجوَّعُ

أراها وإن كانت تُحبُّ فأنّها ... سحابة صيفٍ عن قليلٍ تُقْشَعُ

العظات الثمانية عشر لطالبي العمّاد

لأبينا القديس كيرلّس رئيس أساقفة أورشليم

العظة الرابعة في العمّاد في العقائد العشر

«احذروا أن يسلبكم أحد بالفلسفة والغرور الباطل حسب سنّة الناس على مقتضى أركان العالم، لا على مقتضى المسيح. فإنّه فيه يحلّ كلّ ملء اللاهوت جسدياً، وأنتم ممتلئون فيه، وهو رأس كل رئاسة وسلطان» (كولسي ٢:٨-١٠)

١) ـ الكنيسة تدعو أبناءها الى حسن التمييز

تظهر الرذيلة بمظهر الفضيلة، كما أن الزؤان يظهر بمظهر القمح، ولا يميّزه، عارفوه الاّ بتذوّقه. وهكذا يغيّر الشيطان هيئته الى هيئة ملاك نور (٢كور ١١:١٤)، لكيلا يصعد مرّة أخرى الى حيث كان، «إذ قَسيَ قلبه كالحجر وقاس كالرَحى»(اي٤١:٢٤) **فصارت إرادته عاجزة عن أن تتوب**، بل لكي يحيط بضباب العالم هؤلاء الذين يحيون حياة أشبه بحياة الملائكة، ويضعهم في حالة الكفر المهلكة. «ذئاب كثيرة تجول في ثياب حملان» (متى٧:١٥)، ولكن ليست لها حوافرها ولا أنيابها. إنهم يتستّرون في جلد الحيوانات الأليفة، وبهذا الزيّ الخدّاع يجذبون إليهم البسطاء، ومن أنيابهم يبثّون فيهم سُمّ الكفر المهلك. لذلك نحن في حاجة الى النعمة الألهيّة والى ذهن معتدل والى أعين متيقظة، لكي لا نأكل الزؤان بدلاً من القمح فنضرّ أنفسنا بجهلنا، ولا نحسب الذئب حَملاً فنقع فريسة له، ولا نظنّ الشيطان ملاك خير فنهلك. لأنه، على حدّ قول الكتاب المقدّس: «كالأسد الزائر يجول ملتمساً مَن يبتلعه» (ابط٥ :٨). هذا هو السبب في تنبيهات الكنيسة وإقامة التعاليم، وتلاوة الكتب المقدسة.

٢) ـ ضرورة الأيمان والأعمال

تقوم العبادة الإلهيّة على أساسين: العقائد المقدّسة وأعمال البرّ. فالعقائد بدون أعمال البرّ لا يمكن أن ترضي اللّه. واللّه لا يمكنه أن يتقبّل أعمال البرّ بدون عقائد؛ إذ ما الفائدة أن تعرف صحة العقائد الخاصّة باللّه، إن كنت تعيش في الدعارة؟ وما الفائدة أن تكون معتدلاً بنبيل الطبع، إن كنت مجدّفاً جاحداً؟ فمعرفة العقائد إذن كنزٌ ثمين ضروريّ للنفس المتيقظة، إذ كثيرون هم الذين يفسَدون بفلسفتهم الكاذبة وخداعهم الباطل (كولسي٢:٨). فاليونانيون يجذبون الكثيرين بخطبهم البليغة، «لأن شفتي الأجنبية تقطران شهداً» (أمثال٥:٣). وأهل الختان يَخدعون من يلتقون بهم، بتفسيرهم الكتاب تفسيراً خاطئاً (تيطس١:١٠)،رغم دراستهم له منذ الطفولة حتى الشيخوخة (٢تيمو ٣:٧). والهراطقة يغرّون بسطاء القلوب (رومية ١٦:١٨) بعباراتهم المنمّقة وعذوبة لسانهم، مستخدمين إسم المسيح كالشهد، يخضّلون به أسهم عقائدهم المملوءة كفراً. (خَضلَ، أو خَضَّلَ الشيء، **ندّاه وبلّه**)،فعن هؤلاء جميعاً يقول الربّ: «إحذروا أن يضلّكم أحد» (متى٢٤:٤). ولهذا السبب نقوم بتعليم عقيدة الأيمان ونفسرها على مقتضى التقليد.

٣) ـ الفائدة من عرض العقائد الضروريّة

ولكن قبل أن نسلّمكم عقائد الأيمان، يبدو لي من المستحسن أن نراجع بسرعة العقائد الضروريّة، حتى لا تحمل كثرةُ العقائد المعروضة، مع طول مدّة أيام الصيام المقدس، البسطاءَ منكم على النسيان. والمواضيع التي نتناولها اليوم باقتضاب هي ذاتها التي سنعالجها بإسهاب فيما بعد. أما الذين هم أكثر كمالاً منكم، هؤلاء الذين قد تروّضت حواسّهم على التمييز بين الخير والشر (عبر٥ :١٤)، فليصبروا لدى سماعهم هذه الأشياء البسيطة التي هي أشبه ما تكون باللبن الذي يُعطَى للأطفال (عبر٥:١٢-١٤؛ بط٢:٢ ؛ ١كور٣:٢)، حتى أن المحتاجين الى التعليم يستفيدون منه، والذين لهم سابق معرفة يستذكرونه جيّداً.

في اللّه

٤) ـ إله واحد أبو المسيح

لتكن قبل كل شيء عقيدتك باللّه الأساس في نفسك: اللّه واحد ووحيد غير مولود، لا بداية له ولا تغيير فيه ولا تنوّع؛ لم يولد من آخر ولم يعقبه آخر، لم يبدأ حياته في الزمن ولا ينتهي أبداً. صالحٌ وعادلٌ في نفس الوقت. فإذا سمعت هرطوقيّاً ينادي بوجود إله صالح وآخر عادل، تذكّر في الحال **سهام الهراطقة المسمومة**، فقد ذهب بعضهم في خطبهم الى حدّ الكفر، إذ هم يقسّمون اللّه الوحيد بقولهم: إن اللّه الذي خلق النفس هو غير الذي خلق الجسد، كيف يمكن لإنسان أن يكون خادماً لسيّدين؟ في حين أن ربّنا يقول في الأنجيل: «لا يقدر أحد أن يخدم سيّدَيْن» (متى٦:٢٤). إن اللّه إذن وحيد، وهو الذي خلق النفوس والأجساد معاً. واحد هو خالق السماء والأرض، خالق الملائكة ورؤساء الملائكة. صانع كل ذلك أبٌ لابن وحيد واحد قبل الدهور، ربنا يسوع المسيح، الذي به كوّنَ كلّ شيء (يو١:٣)، ما يرى وما لا يرى (كولسي١:١٦).

٥) ـ سموّ كمال اللّه

إن ربنا يسوع المسيح لا يحدّه مكان، وهو ليس بأقلّ من السماء بل هي من صنع يديه (مز٨:٤)، وكل شيء في قبضة يده (أشعيا ٤٠:١٢). إنه في كل شيء ولا يحويه شيء. لا تظنَّ أنّ الشمس أكثر ضياء منه أو أنها تشابهه في الضياء. فالذي صنع الشمس يجب أن يكون أعظم منها وأكثر ضياء بما لا يقاس ... إنه يعرف كل شيء قبل أن يكون، وقادر على كل شيء، ويملك كل أنواع الفضائل في كمال مطلق متساو، لا ينقص ولا يزيد، بل هو هو لا يتغيّر، يعدّ العقاب للخطأة والإكليل للأبرار.

٦) ـ الأيمان بالأله الواحد يحفظ من عبادة الأوثان

لقد ضَلَّ الكثيرون بطرق مختلفة في معتقداتهم عن اللّه: فَعَبَدَ البعضُ الشمسَ حتى إذا ما غابت يبقون في الليل بدون اللّه ؛ وعَبَدَ البعض الآخر القمر حتى يكونوا بلا إله في النهار ؛ وبكلمة ، عَبَدوا كل شيء في الكون: الفنون والطعام والملذّات وحبّ النساء ، فأقاموا تمثالاً لإمرأة عارية دعوها «**ڤينوس**»،عَبَدوا فيها شهواتهم بصورة منظورة. وبُهِرَ البعض بالذهب فَعَبَدوه ، كما عبدوا معادن أخرى. فإذا أرسَخَ أحَدٌ في قلبه عقيدة وحدانيّة اللّه وخضع لها ، مبتعداً عن عبادة الأصنام وأخطاء الهراطقة،فقد ألقى في نفسه بالإيمان أساس العقيدة الأولى للتقوى.

في المسيح

٧) ـ الإبن مساوٍ للآب

آمنْ كذلك بابن اللّه الواحد الوحيد، ربّنا يسوع المسيح ، إله مولود من إله ، حياة مولودة من حياة ، نور مولود من نور ، مساوٍ للذي ولَدَه في كلّ شيء. إنه حكمة اللّه وقدرته وبرّه الكائن (١كور٢٤:١،٣٠)، وهو يجلس عن يمين الآب قبل كل الدهور ، لا ـ كما يعتقد البعض ـ لأنه تقبّل العرش الذي عن يمين الآب مكافأة له على احتماله آلامه بصبر (عبر٩:٢) ، بل لأنه مولود منذ الأزل. واذاً هو يجلس مع الآب لكونه إله ، فله الكرامة الملكيّة والحكمة والقدرة ، كما قلنا ، ويملك مع الآب دون أن ينقصه شيء من الكرامة الإلهيّة. إنه يعرف الآب الذي ولَدَه ، كما أن الآب يعرفه (يو١٥:١٠) . ولاختصار كل ذلك ، فما عليكم إلاّ أن تذكروا ما جاء في الأنجيل: «لا يعرف الإبن إلاّ الآب ، ولا يعرف الآب إلاّ الإبن» (متى٢٧:١١).

٨) ـ الإبن ، كلمة اللّه ، هو وحيد

ولكن لا تجعل الابن غريباً عن أبيه ، ولا تخلط بين الاثنين بمنح الأبوّة للابن. لكن آمن بأن الإله الوحيد له ابنٌ واحد وحيد مولود . الذي هو الأله الكلمة قبل كل الدهور ، كلمةٌ لم يُنطَق بها ولم تتبدّد في الهواء . ولا تشبه كلمات الخُطَب التي لا كيان لها. ولكن كلمة وابن خالق الكائنات العاقلة ، كلمة يسمع الآب ويتكلم هو نفسه. وسنتكلم عن كل ذلك باسهاب في اليوم المناسب ، إذا أراد اللّه ، إذ نحن لا ننسى ان هدفنا الآن هو التمهيد لعقائد الايمان باختصار.

في ميلاده من العذراء

٩) ـ تجسُّدُ الابن من الروح والعذراء واقع حقيقي

آمنْ بأن هذا الابن الوحيد للّه نزل من السماء الى الأرض بسبب خطايانا ، وانه أخذ طبيعتنا البشرية المعرَّضة للألم ، وولد من القديسة العذراء ومن الروح القدس. وهذا التجسّد لم يتمّ بحسب الفكر أو بحسب المظهر ، بل تمّ بالفعل. وجاء من العذراء لا كمن يمرّ بقناة ، بل أخذ فعلاً جسداً فيها. (وَرَضعَ منها فعلاً ، وأكل وشرب مثلنا فعلاً). فلو كان التجسّد مظهراً لكان الخلاص مظهراً أيضاً. كان المسيح مزدوجاً: إنسان في ما كان يُرى ، وإله فيما كان لا يُرى. وكإنسان كان يأكل مثلنا ، وكان له جسم معرّض للآلام ؛ ولكنه كإله أطعَمَ خمسة آلاف رجل خبزاً (متى١٤:١٧–٢١) ، ومات فعلاً كإنسان، وكإله أقامَ ميتاً بعد أربعة أيام (يو ١١:٣٩ –٤٤) ، ونام فعلاً في السفينة كإنسان (متى٨:٢٤) وكإله مشى على الماء (متى١٤:٢٥).

يتبع في العدد القادم

شجر الصندل

خشب الصندل ينبت في بلاد الهند

شجر خشبه مختلف الألوان طيب الرائحة ، يظهر طيبها بالدلك أو بالإحراق. وعند بناء الهيكل ، طلب الملك سليمان من حيرام ملك صور أن يُرسل له «خشب أرز وسرو وصندل» (٢أخبار٨:٢). فكانت سفن حيرام تأتي لسليمان ، مع الذهب من أوفير ، بخشب الصندل كثيراً جدّاً وبحجارة كريمة. فعمل سليمان خشب الصندل درابزيناً لبيت الرب وبيت الملك وأعواداً ورباباً للمغنيين. لم تأت ولم يُرَ مثل خشب الصندل ذلك إلى اليوم (١مل١٠:١١–١٢و ٢أخ٩: ١٠–١١).

ويرى البعض أن خشب الصندل المذكور هنا ، هو الخشب الأحمر الذي يسمى في اللاتينيّة (Pterocarpus santalinus) وهو خشب هندي غالي الثمن ، قابل للصقل الشديد والتلميع. وهو لا ينبت في لبنان، ولكن يبدو أن سفن حيرام كانت تأتي به من الهند.

العبادة النافلة

لم ترد هذه العبارة في الكتاب المقدس سوى مرّة واحدة ، وذلك في رسالة الرسول بولس إلى الكنيسة في كولوسي ، «إذا كنتم قد متم مع المسيح عن أركان العالم ، فلماذا كأنكم عائشون في العالم ، تفرض عليكم فرائض ... حسب وصايا وتعاليم الناس ، التي لها حكاية حكمة بعبادة نافلة وتواضع وقهر الجسد ليس بقيمة ما من جهة اشباع البشرية» (كولوسي ٢:٢٠–٢٣). وكلمة «**النافلة**» تعني الزائدة عن الفرض أو المرسوم. «**فالعبادة النافلة**» هي الصادرة عن استحسان الإنسان ، وليست حسب مشيئة اللّه المعلنة في كلمته المقدّسة. ورغم ما يبدو فيها من مشقة على الجسد تشبع غرور الإنسان الطبيعي ، إلا أنها بلا قيمة في نظر اللّه ، لأنها: «حسب وصايا وتعاليم الناس». وفي إنجيل متى يقول الرب يسوع المسيح: «وحينما تصلّون لا تكرّروا الكلام باطلاً كالأمم. فإنّهم يظنّون أنه بكثرة كلامهم يستجاب لهم. فلا تتشبّهوا بهم. لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه». **المسيح يريد منّا توبة صادقة،معترفين بخطايانا وطالبين منه بلجاجة خلاص نفوسنا.**

عظة في بدء السنة الجديدة
وكبح الشهوات
للقديس باسيليوس الكبير

تُدعى الحياة على الأرض طريقًا، لأنَّ كلّ مولود مسرعٌ إلى النهاية. فكما أنَّ المسافرين في السفينة يُحمَلون بواسطة الريح، بلا عناء إلى الميناء، وبحركة السفينة يقتربون من المكان المقصود، دون أن يشعروا بذلك، هكذا نحن بمرور الزمن في حياتنا الحاضرة، وبتلك الحركة غير الملحوظة، يقترب كلٌّ منا إلى نهاية حياته.

أيّها الإنسان! إنّكَ ترى في طريقكَ النبات والطعام والماء. فكلّ ما يستلفت نظرك، تتمتّع به قليلاً، ثم تستأنف المسير. إنّكَ ترى الحروب والمجاعات ومصاعب الحياة، فتتأثر وتحزن قليلاً، ثم تتركها. هكذا الحياة: مسرّاتها وقتيّة، وأحزانها غير متصلة... وإنَّ حياتنا تشبه ما ذُكر. اليوم تحرثُ أرضكَ بيدكَ، وغدًا يحرثُها سواك، وبعد هذا سواه. أترى الحقول والمباني الفخمة، كم من مرّة تبدّلت أسماؤها، منذ وُجد الكون؟ كانت لفلان ثم تبدّلت الحال فصارت إلى رجل آخر، ثمّ أصبحت ملكَ آخر فآخر. وهكذا حياتنا! أليست كالطريق، يجتازها أُناس إثر أُناس.

أيّها الإنسان! عليكَ أن تلتفت إلى ذلك. اجتهد أن تُبعدَ عنكَ كلَّ ميل يلطّخكَ بأدران الخطيئة. وملْ بكليتكَ إلى الأعمال الصالحة. امتحِن نفسكَ بنفسكَ، وادرس حقيقةَ طبيعتك. اعلم أنّ الجسد زائلٌ، والروح خالدة، وإنَّ زوال الحياة بديهيٌّ كالجسد، خلافًا للروح التي لا نهاية لها.

انتبه لذاتكَ، احتفظ بالحاضر، وفكِّر بالآتي. لا تدع الموجود يفرُّ من يديكَ بإهمالكَ. لا تتأمّل ملذّات الآتي، كأنّها موجودةٌ لديك، قبل أن تحصل عليها! من عادة الملاحين أن ينظروا إلى السماء، ويُسيِّروا سفنهم اعتمادًا على أجرامها. ففي النهار يهتدون بالشمس، وفي الليل بالكواكب، وهكذا يعرفون الطريق المستقيم. لذلك وجِّه نظركَ دائمًا إلى السماء كما قال صاحب المزامير: «إليكَ رفعتُ عيني يا ساكن السماء» (مز ١٢٢:١). انظر إلى **شمس العدل** واهتد بالوصايا الإلهيّة كالنجوم. ودَعْ عينكَ ساهرة: «لا أُعطي عينيَّ نومًا ولا أجفاني نعاساً» (مز ١٣١:٤) ، حتّى تجد لنفسكَ دليلاً في الوصايا الإلهيّة، كما قيل: «إنَّ قولك سراج لقدمي ونور لسبيلي» (مز ١١٨:١٠٥) ، فإذا لم تَنَم عن إدارة حياتكَ ما دمت في بحر الأعمال العالميّة، فإنّكَ تحصل على مساعدة الروح القدس الذي يسير أمامكَ حتّى يصل بك دون خطر إلى الميناء الهادي، وهو **إرادة الله** . ■

في كبح الشهوات

رسالة القديس باسليوس الكبير إلى أوريبيكيوس الراهب

أنت على حق في تفكيرك، إنّنَا لابدّ أن نعرف الحقيقة التي لا تتضمن فقط قمع الجسد، ولكن أيضاً التقدم نحو أثماره، لأن الثمار هي الشركة مع اللّه. إن كبح النفس هو رفض ما هو للجسد، واقتناء ما هو للّه، وهو أيضاً الابتعاد عن كل ما يؤدي إلى موتها، لأن الجسد هو هيكل اللّه، وهو الذي يستطيع أن يقربنا للّه، بأن ننزع عنا كل **حسد وكل غيرَة ضَارَة**، كل الذين يحبون أهواء أجسادهم إنما يرغبون في أشياء ليست لنفعهم، ولكنهم إذا استطاعوا أن ينزعوا فساد هذا المرض من قلوبهم، فإنهم سيجدوا أنفسهم أقوياء ضدّ كل أنواع الأهواء التي تسبب موت أجسادهم وأرواحهم. لو فهمت هذا الموضوع بطريقة صحيحة، فإننا نستطيع أن نقول: إن من يعرف اللّه هو منضبط (قامع لذاته) ، لأنه لا يرغب في شيء، لأنه كامل في كل شيء ، ولديه الاكتفاء الكليّ في ذاته، فلا يرغب في ما يراه وما يسمعه، لأنه لا ينقصه شيئاً بل هو ممتلئ بكل شيء.

إكمال الشهوات يعني أن **النفس مريضة** ، ولكن قمع الأهواء يعني أن **النفس صحيحة** ،لا تعني قمع النفس من جهة واحدة فقط أي الشهوات الجنسية، ولكننا نقصد كل الطرق التي تأتي منها الشهوات التي تحطم النفس وتجعلها في شدة الظمأ، فتوجد **محبة المال**، وغيرها من الشهوات التي تبعد النفس عن الاتحاد باللّه، أيضاً لعلك تستطيع قمع نفسك بأن لا تعطيها ما تشتهيه من الشرب وتناول بعض الأطعمة، فكل هذا يؤدي إلى تنقية نياتنا، والتحرر من العبودية.

تمرض نفوسنا إذا أُخْضِعَت للشهوات الفاسدة، والأفكار الرديئة التي تجعل قلوبنا منقسمة، أما قمع النفس فهو يعطينا حرية حقيقية في كل الطرق، ويحفظنا ويعطينا قوة. إن قمع النفس لا يعني العفة، ولكن العفة تنتج منه، وهي **نعمة الله**. ■

العهد القديم في الكتاب المقدّس (٤٩)

الفصل الرابع: يشوع والقضاة

ج-كنعان في زمن يشوع والقضاة

حتصور Hazor :(تل القدح)

كانت هي المدينة الرئيسية في الشمال تحيطها حصون طبيعية من ثلاث جهات ، وهي تبعد ٩ أميال (١٤كم) شمالي بحر الجليل ، وقد بدأ جون جارستانج أعماله سنة ١٩٢٨م في تل حتصور القديم ، وحفر نفقاً في التل فوجد منطقة جرداء ومساكن قليلة ، ولكنه لم يستطع أن يضع تفسيراً لذلك ، إلى أن أخذت المدينة إهتماماً من الباحثين منذ سنة ١٩٥٠م ، وقد بدأت دراسات يجآل يادين יגאל ידין Yigael Yadin فاكتشف أن المدينة خربت فيما بين سنتي ١٢٥٠–١٢٢٥ ق.م. وأن المدينة كانت مزدهرة ومركزاً للحياة السياسية والعسكرية ، وأنها لم تكن مدينة ضعيفة وهو نفس ما أشار إليه يشوع: «حاصور كانت قبلاً رأساً لجميع تلك الممالك» (يش ١١:١٠).

واكتشف أن المدينة متسعة يقطنها ما يقرب من أربعين ألف نسمة ، وبعد أن دمّرها يشوع ظلّت خربة حتى ظهرت كمدينة حصينة في القرن العاشر ق.م. في عصر سليمان ، ومن الطريف ما اكتشفه يايدن من معابد ومذابح كنعانية مازالت قائمة لم يدمّرها الإسرائيليون.

شاكيم Shechem :(تل بلاطـــة)

تقع شكيم على مفترق طرق هامة وعلى مدخل الوادي بين جبل عيبال في الشمال وجبل جرزيم في الجنوب ، وتبعد ٣١ ميلاً (٥٠كم) شمالي أورشليم ، وثمانية أميال (١٣كم) إلى الجنوب الشرقي من السامرة ، وبسبب هذا الموقع المتميز وسط أرض كنعان كان لها شأن عظيم طوال تاريخ إسرائيل ، والمدينة لها تاريخ حافل يبدأ بالآباء ، وأثبتت نتائج البحث والتنقيب أنها كانت مدينة كبيرة سكانها الأموريون ، وبنى الهكسوس فيها حصناً ومعبداً وكان للمدينة سورٌ عظيم وقد خربت المدينة ، لكن الكنعانيين أعادوا بناءها وحصنوا المعبد بحوائط سميكة ، ذلك الذي هدمه أبيمالك (قض٩:٤) ، وأعاد سليمان بناء المدينة في القرن العاشر ق.م. .

مدن الفلسطينيين الخمس:

وقت أن استوطن العبرانيون كنعان كانت هناك شعوب قد سبقتهم واستوطنت شاطىء البحر المتوسط وهو الفلسطينيون الذين كانوا سبب أرق دائم لهم ، وحرموا العبرانيين من أن يبتهجوا طويلاً بثمار إنتصاراتهم ، وكنا لا نعرف عنهم كثيراً إلا تلك المعلومات التي أمدّنا بها الكتاب المقدس ، حيث كشفت أعمال التنقيب عن مدنهم وأجابت الدراسات عن كثير من التساؤلات حولهم، من هم ومن أين أتوا وما هي حضارتهم وأي حياة عاشوها في الأرض؟.

معصرة للزيتون في حتصور

فقد ورد ذكر الفلسطينيين في نقوش رمسيس الثالث، وكان الفلسطينيون جيراناً للعبرانيين في أرض كنعان ، والفلسطينيون واحد من شعوب البحر وأتوا من جزيرة كفتور (كريت) (عا٩:٧ ؛ تث٢:٢٣) ، واستطونوا جنوب غرب الأرض في مدنهم الخمس التي تقع ثلاث منها على الساحل أو بالقرب منه ، وهي: أشقلون وأشدود وغزّة ، ومدينتان للداخل إلى الشرق منهم وهما: عقرون وجت ، وكان لكل مدينة حاكم.

وقد سيطر الفلسطينيون على الطريق الساحلي الممتد بين مصر وكنعان ، ذلك الطريق الإستراتيجي لمرور الجيوش ، والحيوي في التجارة ، ولاشكّ أن هذا كان هو السبب الرئيسي الذي من أجله منع اللّه الإسرائيليون أن يسلكوا هذا الطريق إلى أرض الميعاد وهو أقصر الطرق وأسهلها (خر١٣:١٧)، ودبّ النزاع بين الإسرائيليين والفلسطينيين ، فكلٌ منهما يريد أن يحكم الأرض ، وربما كان ذلك دافعاً أن يطلب الشعب لهم ملكاً (١صم٨:٢٠) ، وظل الفلسطينيون يضغطون على الإسرائيليين وتزايد الصراع في زمن القضاة واستمر حتى دحرهم داود في معركة فاصلة (٢صم٥:٢٥) ، وزودتنا الإكتشافات بفكرة أكثر وضوحاً عن مدن الفلسطينيين فقد إكتشف بتري **مدينة غزّة القديمة** في عجلون (تل الحصى) وهي تبعد ٦ أميال (١٠كم) شمال شرقي المدينة الحالية ، وتعرفنا على عبادات الفلسطينيين حينما أكتشف في أشدود معبد للفلسطينيين وكانت مركزاً لعبادة **داجون** ، واكتشف معبد آخر له في غزّة ، وكانت عقرون مركزاً لعبادة **بعل زبوب**. أما **العشتاروت** فكانت تعبد في بيت شآن (بيسان).

التواضع: إنّ السيّد المسيح ، الذي جال البقاع والجبال والمدن والقرى كارزاً ومبشّراً : «توبوا فقد اقترب ملكوت السموات» ، فإنّه إجترح عجائب كثيرة وأخرج شياطين، وشفى مرضى كثيرين، إلاّ أنه طلب أن نقتدي به بالتواضع فقال: «تعلّموا مني. لأني وديعٌ ومتواضعُ القلب. فتجدوا راحة لنفوسكم.» (متى ١١:٢٩). ولكن ما هو التواضع بالفعل ؟! لربما في قول هذا الشاعر نجد بعض من الأيحاء فيقول:

تواضع تكن كالنجم لاحَ لناظرٍ
على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تكن كالدخان يعلو بنفسه
على طبقات الجوّ وهو وضيع

رؤيا أشعياء لمجد المسيح قبل تجسّده

للقديس
كيرللس الكبير
رئيس أساقفة
الأسكندرية

«في سنة وفاة عزّيا الملك رأيت السيد جالساً على كرسي عالٍ ومرتفع واذياله تملآ الهيكل. السيرافيم واقفون فوقه لكل واحدٍ ستة أجنحة. باثنين يغطي وجهه وباثنين يغطي رجليه وباثنين يطير. وهذا نادى ذاك وقال: قدوسٌ قدوسٌ قدوسٌ ربّ الجنود مجده ملء كل الأرض» (إش٦) .

لم تكن الرؤى تُكْشَف للأنبياء المباركين منْ قبَل اللّه، الواحدة تلو الأخرى أو بطريقة مستمرة، بل كانت تُكشَف على مراحل كما يشاء الرب وفي الوقت الذي يعيّنه، ذاك الذي يكشف الأسرار العميقة ويعرف ما هو مخفي.

رأى النبي إشعيا **الابن في مجد اللّه الآب**، لا أحد يمكنه إن شكّك في هذا الأمر، نظراً لأن يوحنا كتب عنه بشكل واضح قائلاً: «قال إشعيا هذا حين رأى مجده وتكلم عنه» (يو١٢: ٤١). تأملوا الكرامة السامية اللائقة باللّه وسلطانه على كل الخليقة. فاللّه يجلس على كرسيّ عالٍ ومرتفع، متوّجاً بعظمة سلطانه الرفيع بشكل مثير للرهبة والإعجاب. والقوات العلوية التي لا يفوقها أي خليقة أخرى، تقف حوله، تشغل وظيفة الخدام، وتكرمه وتبجله بالتماجيد والتسابيح. ويقولون: **«مجده ملء كل الأرض»**. يجب علينا بالطبع أن لا نعتبر العرش الإلهي ككرسيّ مرفوع بالمعنى الحرفي. فذلك يكون شيء غبي وسخيف. معنى إن العرش الإلهي موضوع في مستوى عالٍ ومرتفع هو أن مجد سلطان اللّه يفوق جداً بما لا يقاس كل الطبائع العقلية. والجلوس على العرش يشير إلى ثبات طبيعة اللّه وطول آناته وبركات اللّه غير القابلة للتغيير. فداود المبارك يغني أيضاً هكذا قائلاً: «اللّه جلس على كرسي قدسه » (مز٤٦: ٨). والنبي إرميا يقول له حقاً: «فإنك أنت تدوم للأبد أما نحن فنهلك للأبد» (باروخ ٣: ٣).

فالطبيعة المخلوقة دائماً وفي جميع الأوقات خاضعة للإنحلال، هذا هو ما يمنح الكائنات المبدوءة حدودها الصحيحة. هكذا وكما قلت، يجلس على العرش **«الحكمة»** الصانع وخالق كل الأشياء. وهذا معناه، أن ثباته غير متزعزع. يقول إشعيا أن البيت ممتلئ بمجد الرب، لكون إسرائيل لم تكن قد أخطأت بعد بشكل أثيم تجاه ربنا يسوع المسيح، كان مجد اللّه يملأ الهيكل في أورشليم، لكن عندما رفضوا سلطانه، وسقطوا في سبل أثيمة، سمعوا آنذاك هذا القول: «هوذا بيتكم يترك لكم خراباً» (مت٢٣: ٣٨). يقول إشعيا أنه في كل واحد من السيرافيم مغروس ستة أجنحة، باثنين يغطون وجوههم وباثنين يغطون أرجلهم ويطيرون بالاثنين الباقيين. كلمة «سيرافيم» تعني «ناري» أو «محترق». إذ أنه ليس هناك أي برودة في القوات العلوية لكونهم قريبون من اللّه بصورة خاصة. لهذا، عندما نلتصق باللّه بالإيمان وبطريقة حياة صالحة تتبع الوصايا بتدقيق، نصير نحن أنفسنا أيضاً حارّين في الروح ومتّقدين في محبتنا للّه.

حقيقة أن السيرافيم يحجبون وجوههم وأرجلهم بأجنحتهم ويطيرون باثنين، هذا يشير إلى عدم قدرتهم على رؤية سواء بداية أو نهاية المفاهيم أو الأفكار المتعلقة باللّه. فالرأس والوجه يشيران إلى البداية، والأقدام إلى النهاية. إذ ان اللاهوت ليس له بداية ولا يعرف نهاية. وأما ما يَكْمُن فيما بينهم ـ أشير إلى الزمن، الذي فيه الأشياء التي كانت غير موجودة جلبت وصارت في حيز الوجود ـ يمكننا بالكاد أن نتعامل معها. والسيرافيم يطيرون لأن ليس فيهم أي شيء وضيع، بل بالعكس عقولهم مرفوعة على الدوام نحو اللّه، إذ أن القوات العلوية لا تفكر بشأن الأمور الأدنى ـ كما نفعل نحن ـ لكن يبقون عقولهم مثبتة على الأفكار الرفيعة فائقة الوصف. وفمهم مملوء على الدوام بالحمد والتسبيح، فهم ينشدون تمجيداً ويفعلون ذلك بالدور، ليس بسبب التعب ـ في رأيي ـ بل بالأحرى لكي يتخلوا عن الكرامة بعضهم لبعض، يتلقون ويعيدون التمجيد كهدية. إذ أن كل شيء في السماء يتم وفقاً للنظام المناسب. يقولون **«قدوسٌ»** ثلاثة مرات، ثم يختمون التمجيد بكلمة **«رب القوات»** معلنين طبيعة إلهية واحدة للثالوث القدوس. إذ أننا نقول بالإجماع العام أن الآب قائم مع الابن والروح القدس. وأنه ليس هناك مبدأ يُقسِّم الأقانيم الثلاثة ويفصل بينهم إلى طبائع مختلفة. على عكس من ذلك، نحن نعتقد بلاهوت واحد في ثلاثة أقانيم. ودليلنا على هذا يقدمه السيرافيم المبارك، الذي يقول أيضاً أن الأرض كلها مملوءة من مجده، متنبئين مسبقاً بما سوف يكون ومُعلنين مقدماً **سرّ التدبير** الذي تّممه **المسيح**. إذ أنه قبل أن يتجسد **«الكلمة»** كان العالم كله محكوماً **بالشيطان الشرير، الحيَّة والمرتَّد**، وتمّ عبادة المخلوق بدلاً من الخالق. لكن عندما صار **كلمة اللّه الوحيد** إنساناً أمتلأت الأرض كلها من مجده. فكل ركبة سوف تجثو له، وسوف تعترف به وتخدمه كل قبيلة وكل لسان، كما يقول الكتاب (في٢ : ١٠).

وتنبأ داود المبارك أيضاً عن ذلك في الروح، إذ قال: «كل الأمم الذين صنعتهم ياتون ويسجدون أمامك ويمجدون اسمك» (مز ٨٥ :٩). هذا قد تحقق عندما تم دعوة العديد من الأمم، كل منهم له ساجدين، ذلك الذي من أجلنا صار مثلنا، إلا أنه بقي الأسمى فوق كل الأشياء.

«فطار إليَّ واحد من السيرافيم وبيده جمرة قد أخذها بملقط من على المذبح، ومسّ بها فمي وقال ان هذا قد مسَّت شفتيك فانتُزع اثمك وكُفِّر عن خطيتك» (إش٦:٩)، يكتب القديس بولس عن الملائكة القديسين قائلاً: «أليس جميعهم ارواحاً خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص» (عب١). النقطة التي يوضحها ليست غامضة، فكل شيء بين القوات العلوية يتم بنظام مناسب. ومعها هناك قيود الكرامة أو الخدمة، والحدود موضوعة لمجد كل أحد بواسطة اللّه الذي يُقسّم كل الأشياء كما يرى مناسباً، إلا أن هناك نير واحد موضوع على الجميع، إذ يخدمون بحسب أوامر الرب، غير معتبرين عبوديتهم كأمر لا يليق بل حاسبين إياه كمصدر للشرف والمجد.

وفقاً لذلك، نرى أن النبي أشعياء قد استبق وعاين سرّ المسيح، بطريقة مخدومة بشكل رائع من قبل القوات السماوية. وقد أرسل أحد السيرافيم بجمرة نار مأخوذة بملقط من على المذبح. هذا كان رمزاً للمسيح، الذي من أجلنا ونيابة عنا قدَّم ذاته لله الآب كذبيحة روحية، نقيّة وبلا عيب، تقدمة عَطرة. لذا كان من الملائم جداً أن يؤخذ من على المذبح. أما عن تشبيه الرب **بجمرة محترقة** فهذا من الضروري توضيحه.

من المألوف في الكتب المقدسة أن يتم تشبيه الطبيعة الإلهية بالنار. هكذا رآه شعب إسرائيل على جبل حوريب أو سيناء في يوم الإجتماع (تث٤). وهكذا أيضاً رآه موسى النبي ذاته بينما هو يرعى الخراف في البرية، عندما ظهر في شكل العليقة المحترقة وتكلم معه (خر٣). الفحم هو خشب بالطبيعة، إلا أنه مملوء كلياً بالنار ويكتسب قوتها وطاقتها. في رأيي، وبشكل ملائم جداً يمكن تصوّر ربنا يسوع المسيح ذاته بنفس الطريقة، «والكلمة صار جسداً وحلَّ بيننا» (يو١:١٤)، فبالرغم من اننا رأيناه كإنسان بحسب تدبير التجسد، إلا أن حلَّ فيه ملء اللاهوت، بواسطة ـ أود أن أؤكد ـ الإتحاد (الأقنومي). هكذا يمكن القول بأن لديه الطاقات المختصة باللّه، والتي تعمل من خلال جسده الخاص. وبناء عليه، لمس النعش وأقام ابن الأرملة من الموت (لو٧:١٤)، وبواسطة التفل

فطار إليَّ واحد من السيرافيم وبيده جمرة قد أخذها بملقط من على المذبح، ومسّ بها فمي

وطلي العين بالطين فتَّح أعين الأعمى (يو٩:٦). إذن، **عمانوئيل** يُشبّه بشكل مناسب جداً **بجمرة محترقة**، وعندما يمسّ شفاهنا يمسح ذنوبنا بالكامل ويطهرنا من كل تعدياتنا. ثم كيف يمسّ شفاهنا؟ يتم ذلك عندما نقرّ بإيماننا فيه. لذلك يقول القديس بولس: «الكلمة قريبة منك، في فمك وفي قلبك، أي كلمة الإيمان التي نكرز بها، لأنك ان اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله اقامه من الأموات خلصت. لأن القلب يؤمن به للبر والفم يعترف به للخلاص» (رو١٠:٨-١٠).

لذا ليتنا نمسّ شفاهنا بالجمرة المقدسة، التي تحرق **نفاية خطايانا، وتلتهم قمامة تعدياتنا**، وتجعلنا حارين في الروح. ما يعنيه الأخذ بالملقط يمكن شرحه بعناية على أن الإيمان بالمسيح ومعرفته نتلقاه بملقط ـ إذا جاز التعبير ـ التعاليم أو النبوات الموجودة في الناموس والأنبياء. وكلمات الرسل القديسين أيضاً تؤكد الحق بكل وسيلة، إذ أنهم بواسطة إقتباس الشهادات من الناموس والأنبياء يقنعون سامعيهم، ويمسون شفاههم تقريباً بالجمرة المحترقة وهم يهيئونهم للإقرار بإيمانهم في السيد المسيح، الذي له كلّ إكرام وسجود مع أبيه وروحه القدوس ، إلى الأبد آمين . ■

أين نجد السعادة - الركن السابع والأخير من أركان السعادة - ينشر في العدد القادم ، في شهر شباط

العنكبوت

العنكبوت **دُوَيْبَة** من رتبة العنكبيات. ويوجد في فلسطين ما بين ٦٠٠ إلى ٧٠٠ نوع من العناكب. وهي تختلف عن الحشرات بأن جسمها ينقسم إلى قسمين: الأمامي ويشمل الرأس والصدر ، والخلفي يشمل البطن. وهي أشبه بالعقارب في أن لها أربعة أزواج من الأرجل ، عوضاً عن الثلاثة الأزواج التي للحشرات. وتنتهي كل رجل بغدّة سامة ، تختلف قوة سمّها من نوع إلى آخر، فالبعض منها قد يقتل الحشرات فحسب ، ولكن البعض الآخر يستطيع أن يقتل العصافير والفئران. والعناكب تفرز من لعابها خيوطاً تغزلها وتنسجها بيتاً ليكون مصيدة للحشرات التي تتغذى عليها.

ويُستخدم العنكبوت مجازياً ، فيقول يلداد الشوحي ـ أحد أصحاب أيوب ـ «رجاء العاجز يخيب ، فيقطع اعتماده ، ومتكله بيت العنكبوت» (أي٨:١٤) ، فبيت العنكبوت يُضرَب به المثل في الضعف والوهن ، فيقال: «**أوهى من بيت العنكبوت**». ويقول أيوب عن الإنسان الشرير: «يبني بيته كالعثّ أو كمظلة صنعها الناطور» (أي٢٧:١٨) ، وقد جاءت هذه الآية في بعض المخطوطات القديمة ، وبخاصة السريانيّة: «يبني بيته كبيت العنكبوت». ويقول أشعياء النبي في نفس المعنى: «فقسوا بيض أفعى ، ونسجوا خيوط العنكبوت» (أش٥٩:٥).

فعلينا أن نمتلك إيماناً ثابتاً وراسخاً لا يتزعزع ، يرتكز على روح الأنجيل ، وتعاليم الآباء ، والتقليد الشريف ، والمجامع المسكونيّة، والأيقونات الشريفة ؛ لا إيماناً هشّاً كنسيج العنكبوت ، يتهاوى ويسقط عند أول تجربة.

من أقوال الآباء عن الميلاد المجيد

القديس ثيوذوسيوس أسقف أنقرة:

✣ التحفت العذراء بالنعمة الألهية كثوب وامتلأت نفسها بالحكمة الألهية في القلب ، تنعمت بالزيجة مع اللّه وتسلمت اللّه فى أحشائها.

✣ صار ابن اللّه إنسانا لنرحب به كعضو في عائلتنا، و بالرغم من خطايانا، فإننا نولد من جديد، حاملين رجاءً...

✣ لقد هربنا من وجه معلمنا، تاركين النعمة المقدمة لنا، فماذا يفعل المعلم حسب رحمته؟ أنه يتعقب الهارب حتى يرده. يقترب إليه ليس وهو مرتدي عظمته بل يأتيه في أتضاع، متجسدا في أحشاء مريم. بهذا يصير المعلم معروفاً لدى الشارد وصديقا له، جاعلا من نفسه خادماً لنا حتى نصير نحن معه سادة!

✣ حقاً لا تعرف الطبيعة عذراء تبقى هكذا بعد إنجاب الطفل، أما النعمة فجعلت العذراء والدة وحفظت بتوليتها. النعمة جعلت العذراء أما ولم تحل بتوليتها...أيتها الأرض غير المفلحة التي ازدهرت وجاءتنا بثمر يخلصنا! أيتها العذراء التي فاقت جنة عدن المبهجة!...العذراء ممجدة أكثر من الفردوس، لأن الفردوس فلحه اللّه، أما مريم فأنبتت اللّه نفسه حسب الجسد، إذ بإرادته شاء أن يتحد بالطبع البشري.

القديس جيروم (إيرونيموس):

✣ بعد أن حملت العذراء إبنها وولدته لنا إنحلت اللعنة ـ جاء الموت خلال حواء والحياة خلال مريم.

✣ مريم العذراء حازت من النعمه ليس ما يكفيها ان تكون عذراء طاهرة فحسب بل وبالقدر الذى يؤهلها ان تمنح بشفاعاتها البتولية للآخرين لأنها من أجلهم قد جاءت.

✣ السيد المسيح وحده فتح أبواب بتوليتها المغلقة، ومع هذا بقيت الأبواب مغلقة تماماً.

✣ هي الباب الشرقي الذي تحدث عنه حزقيال (٢:٤٤)، المغلق على الدوام، المملوء نوراً...يدخل إلى قدس الأقداس، منه يدخل ويخرج من هو على رتبة ملكي صادق. دعوهم يخبروني كيف دخل يسوع والأبواب مغلقة، و أنا أجيبهم كيف تكون القديسة مريم أمّاً وعذراء بعد ميلاد إبنها، وكيف تكون أمّا قبل (بغير) زواج.

✣ إعتاد الكتاب المقدس أن يستخدم كلمة «بكر» لا للشخص الذي له أخوة وأخوات، بل للمولود أولا (خر١٩:٣٤-٢٠) حتى ولو لم يكن له أخوة أصاغر. هكذا يخرج القديس جيروم من الكتاب المقدس بأن «كل طفل وحيد هو بكر، لكن ليس كل بكر هو طفل وحيد». كذلك فإن العبارة «لم يعرفها حتى ولدت أبنها البكر» لا تعني بالضرورة أن القديس يوسف عرفها بعد ولادتها للسيد المسيح، لان الكلمة «حتى» لا تعني النتوء بما يحدث بعد ذلك (النتوء = الشيء الذي خرج من موضعه من غير أن ينفصل ﴿المنجد صفحة٧٨٨﴾)، وذلك قول الكتاب مثلا: «لم تنجب ميكال ابنة شاول حتى ماتت»(٢صم٦:٢٣)، لا تعني أنها ولدت بعد موتها.

القديس ساويرس الأنطاكي:

✣ تعالى ايها الحكيم وانظر الطفل داخل الاقماط وتأمل فى ان يكون جميع الخليقة معلقة بامره، تعجب منه لانه موضوع فى المذود وهو يدبر البحر واليابسة.

✣ بالأمس صنع أمّه ، وأتى اليوم وَلَدٌ منها هو الوحيد قبل آدم وبعد مريم.

✣ أمس واليوم هو يسوع ابن اللّه بغير ابتداء وشاء ان يكون تحت الابتداء.

✣ الطفل الموضوع فى المذود والصغير بين المساكين ترتعد منه صفوف النار بعساكرها.

✣ مريم حملت الطفل فى حضنها هذا الذى يحمل كل الاشياء وحملته الاذرع وهو الجالس على مركبة الكاروبيم، وارضعته لبناً وهو هيّأه فيها واعطته طعاما هو صنعه كأله.

✣ عندما كان يرضع اللبن من أمه كان يرضع الكل بالحياة هذا الذى كل الخليقة ترضع صلاحه وتطلب منه الطبائع أن يعطيها قوتها ويعطي المطر والظل لمزروعات الارض.

✣ النار ملفوفة بالاقمشة واللهيب يَرْضَع حليب العذراء.

✣ له المجد..قوته عظيمة..من يقدر ان يجدها لكنه اخفى قياسها تحت الثوب الذى كانت امه العذراء تغزله له وتلبسه واياه إذ اخلى نفسه من ثوب المجد.

✣ انفجرت ابواب الجحيم أمامه فكيف احتوته أحشاء مريم والحجر الذى على القبر تدحرج بقوة فكيف اشتملته ذراعا مريم العذراء.

✣ حينما اريد أن أنظر الى العذراء والدة الأله وأتأمل فى شخصها يبدو لي لأوّل وهله ان صوتاً من الرب يأتى صارخاً بقوة في أذنيّ لا تقترب الى هنا. إخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذى انت واقف عليه أرض مقدسة (خروج٣:٥).